الوارث -١٨-

نشـــرة شـــهـــرية تصـــدر عـــن
شعبة الدراسات والبحـــوث الاسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
فـــي العتبة الحســـينية المقدسة

جمادى الأولى ١٤٣١ هـ / نيسان - أيار ٢٠١٠م

قال رسول الله ﷺ :

((واني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي كأني وقد دخل الذل بيتها وانتهكت حرمتها وغصبت حقها ومنعت إرثها وكسر ضلعها وأسقط جنينها وهي تنادي : **يا محمدا** فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث))

الأمالي للصدوق، ص ١٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

صفحات الوارث

٢ قطوف دانية من السيرة الحسينية / حفظ أربعين حديثاً

٤ شعر مولانا الشهيد أبي عبد الله عليه السلام

٥ ونطق الدهر

٦ في رحاب علوم القرآن / وجوه إعجاز القرآن / الحلقة الثانية

٨ على ضفاف نهج البلاغة
المجتمع والطبقات الاجتماعية في نهج البلاغة / القسم الثالث: الزُرّاع

١٠ محطات ثقافية / التفكير بالواجب

١٢ أخلاقك هويتك / النفس وأسماؤها وقواها الأربع

١٤ مباحث عقائدية / هل ينسجم العدل الإلهي
مع وجود البلايا والمصائب والشرور في هذا العالم؟

١٦ أعلام الشيعة / صفوان بن يحيى بياع السابري

١٧ عبرٌ من التاريخ / مواعظ البهلول

١٨ شؤون الأسرة / سلوك الطفل بين السلب والايجاب

٢٠ معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم
من معاجز الإمام الحسين عليه السلام

٢١ معارف عامة / أنواع الدم

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الألكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبدالأمير السلامي

التصميم
السيد علي ماميثة

الإخراج الفني
أحمد محسن جواد

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

تلفت عناية الأخوة المؤمنين إلى أن هذه النشرة تحتوي على كلمات مقدسة لذا نرجو عدم رميها في أماكن لا تليق بها أو حرقها أو استخدامها فيما بعد إنتهاكاً لهذه الكلمات ولكم الأجر والثواب...

الوارث

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق – وزارة الثقافة لسنة ٢٠١٠ – ١٢١١

الأمانة العامة لمكتبة العتبة الحسينية المقدسة
هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ – داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email: info@imamhussain-lib.org

كلمة العدد

نعمة الله

ان لله تعالى على عباده منّةً وفضلاً وإنعاماً، ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم حقاً وأجراً واعترافاً بالجميل، وقد حكم العقل قبل الشرع بوجوب شكر المنعم، وإعطاء كل ذي حق حقه فلذا ينبغي أن نعرف عظمة النعم وحدود الحق، ولكي نؤكد أن فاطمة نعمة منّ الله تعالى بها علينا نذكر ما ورد على لسان أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من بيان لمقامها ودورها في حياة البشرية، فموالاتها وحبها سلام الله عليها أجر الرسالة التي ورد ذكرها في آية القربى، وهي الحجة التي انتصر بها الإسلام على النصارى في يوم المباهلة، وهي أحد الخمسة الذين لولاهم ما كنّا وما كانت السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن كما ورد ذلك في حديث الكساء، وهي التي تلتقط محبيها وشيعتها من بين الناس يوم القيامة كما يلتقط الطير الحب الجيد من الرديء لتنقذهم من الهلكة، وهي التي نصرت رسولنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وواسته بنفسها حتى سميت بأم أبيها، وهي التي ولدت لنا سيدي شباب أهل الجنة ليكونا قادة البلاد وساسة العباد، وهي التي تحضرنا عند نزول الموت وشخوص الأعين وهي وهي وهي، يعجز القلم عن وصف فضلها ويحير العقل في إدراك عظمتها، فإن قال قائل ما بالكم تبالغون في وصف أئمتكم؟ نقول: نحن لم نذكر إلاّ ما ورد في كتاب الله وسنة نبيه، وإن كان في السنة تشكيك من المشككين فلا يرد ذلك في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يرد الشك في الروايات التي وردت في الكتب التي يقدسها هؤلاء المشككون كصحيح البخاري ومسلم اللذين بيّنا فضلها ومقامها، وبناء على ما تقوم لا يسعنا إلاّ ان نقر بهذه النعمة ونشكر المنعم علينا من خلال موالاتنا لها.

المشرف العام

حفظ أربعين حديثا

قال الصدوق: عن علي بن أحمد بن موسى الدقاق، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب ومحمد بن أحمد السناني «رضي الله عنهم» قالوا: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الأسدي الكوفي أبو الحسين قال حدثنا موسى ابن عمران النخعي، عن عمه الحسين بن يزيد، عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي وإسماعيل بن أبي زياد جميعا، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد ابن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليهم السلام قال:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان فيما أوصى به أن قال له:

يا علي! من حفظ من أمتي أربعين حديثا يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله! أخبرني ما هذه الأحاديث؟

فقال: أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، وتعبده ولا تعبد غيره، وتقيم الصلاة بوضوء سابغ في مواقيتها ولا تؤخرها فإن في تأخيرها من غير علة غضب الله عز وجل، وتؤدي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إذا كان لك مال وكنت مستطيعا، وأن لا تعق والديك، ولا تأكل مال اليتيم ظلما، ولا تأكل الربا، ولا تشرب الخمر ولا شيئا من الأشربة المسكرة، ولا تزني ولا تلوط، ولا تمشي بالنميمة، ولا تحلف بالله كاذبا، ولا تسرق، ولا تشهد شهادة الزور لأحد قريبا كان أو بعيدا.

وأن تقبل الحق ممن جاء به صغيرا كان أو كبيرا، وأن لا تركن إلى ظالم وإن كان حميما قريبا، وأن لا تعمل بالهوى، ولا تقذف المحصنة، ولا ترائي فإن أيسر الرياء، شرك بالله عز وجل، وأن لا تقول لقصير: يا قصير، ولا لطويل: يا طويل! تريد بذلك عيبه، وأن لا تسخر من أحد من خلق الله، وأن تصبر على البلاء والمصيبة، وأن تشكر نعم الله التي أنعم بها عليك، وأن لا تأمن عقاب الله على ذنب تصيبه، وأن لا تقنط من رحمة الله، وأن تتوب إلى الله عز وجل من ذنوبك فإن التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له، وأن لا تصر على الذنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئ بالله وآياته ورسله.

وأن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك

وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن لا تطلب سخط الخالق برضا المخلوق، وأن لا تؤثر الدنيا على الآخرة، لأن الدنيا فانية والآخرة الباقية، وأن لا تبخل على إخوانك بما تقدر عليه، وأن تكون سريرتك كعلانيتك، وأن لا تكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة، فإن فعلت ذلك كنت من المنافقين، وأن لا تكذب ولا تخالط الكذابين، وأن لا تغضب إذا سمعت حقا، وأن تؤدب نفسك وأهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة، وأن تعمل بما علمت، ولا تعاملن أحدا من خلق الله عز وجل إلا بالحق، وأن تكون سهلا للقريب والبعيد، وأن لا تكون جبارا عنيدا.

وأن تكثر من التسبيح والتهليل والدعاء وذكر الموت وما بعده من القيامة والجنة والنار، وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه، وأن تستغنم البر والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات، وأن تنظر إلى كل ما لا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين، ولا تمل من فعل الخير، وأن لا تثقل على أحد، وأن لا تمن على أحد إذا أنعمت عليه، وأن تكون الدنيا عندك سجنا حتى يجعل الله لك جنة.

فهذه أربعون حديثا من استقام عليها وحفظها عني من أمتي دخل الجنة برحمة الله، وكان من أفضل الناس وأحبهم إلى الله عز وجل بعد النبيين والوصيين، وحشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.(1)

قال المجلسي: ظاهر هذا الخبر أنه لا يشترط في حفظ الأربعين حديثا كونها منفصلة بعضها عن بعض في النقل، بل يكفي لذلك حفظ خبر واحد يشتمل على أربعين حكما، إذ كل منها يصلح لأن يكون حديثا برأسه، ويحتمل أن يكون المراد بيان مورد هذه الأحاديث، أي أربعين حديثا يتعلق بهذه الأمور. وتصحيح عدد الأربعين إنما يتيسر بجعل بعض الفقرات المكررة ظاهرا تفسيرا وتأكيدا لبعض.(2)

وعن سليمان الحلي: محمد بن عيسى بن عبيد، عن أبي محمد عبد الله بن حماد الأنصاري، عن صباح المزني، عن الحارث بن حصيرة، عن الأصبغ بن نباتة قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام عنده، وهو ينظر إليهما نظرا شديدا.

فقلت له: بارك الله لك فيهما، وبلغهما آمالهما في أنفسهما، والله! إني لأراك تنظر إليهما نظرا شديدا فتطيل النظر إليهما.

فقال: نعم، يا أصبغ! ذكرت لهما حديثا.

فقلت: حدثني به جعلت فداك.

فقال: كنت في ضيعة لي، فأقبلت نصف النهار في شدة الحر، وأنا جائع فقلت لابنة محمد صلى الله عليه وآله: أعندك شيء تطعمينيه؟

فقامت لتهيئ لي شيئا، حتى إذا انفلت من الصلاة قد أحضرت أقبل الحسن والحسين عليهما السلام حتى جلسا في حجرها، فقالت لهما: يا بني! ما حبسكما وأبطأكما عني؟.

قالا: حبسنا رسول الله صلى الله عليه وآله وجبرئيل عليه السلام.

فقال الحسن عليه السلام: أنا كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، والحسين عليه السلام، في حجر جبرئيل عليه السلام، فكنت أنا أثب من حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى حجر جبرئيل عليه السلام، وكان الحسين يثب من حجر جبرئيل عليه السلام إلى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى إذا زالت الشمس قال جبرئيل عليه السلام: قم فصل، إن الشمس قد زالت، فعرج جبرئيل إلى السماء، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله فجئنا.

فقلت: يا أمير المؤمنين! في أي صورة نظر إليه الحسن والحسين عليهما السلام؟

فقال: في الصورة التي كان ينزل فيها على رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلما حضرت الصلاة، خرجت فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما انصرف من صلاته قلت: يا رسول الله! إني كنت في ضيعة لي، فجئت نصف النهار وأنا جائع، فسألت ابنة محمد هل عندك شيء فتطعمينيه؟

فقامت لتهيئ لي شيئا حتى إذ أقبل ابناك الحسن والحسين عليهما السلام، حتى جلسا في حجر أمهما فسألتهما: ما أبطأكما وما حبسكما عني؟

فسمعتهما يقولان: حبسنا جبرئيل ورسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: كيف حبسكما جبرئيل ورسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال الحسن عليه السلام: كنت أنا في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، والحسين عليه السلام في حجر جبرئيل عليه السلام، فكنت أنا أثب من حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حجر جبرئيل عليه السلام، وكان الحسين يثب من حجر جبرئيل عليه السلام إلى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدق ابناي، ما زلت أنا وجبرئيل عليه السلام نزهو بهما، منذ أصبحنا إلى أن زالت الشمس.

فقلت: يا رسول الله! فبأي صورة كانا يريان جبرئيل عليه السلام؟

فقال: في الصورة التي كان ينزل فيها علي(3).

---

(1) بحار الأنوار: ج2، ص156.

(2) الخصال: ج2، ص543 حديث 19. بحار الأنوار: ج2، ص154، حديث 7.

(3) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ـ معهد تحقيقات باقر العلوم: ص83 ـ 87.

شعر مولانا الشهيد أبي عبد الله

كذا ورد بخط عبد الله بن احمد بن الخشاب المتوفى عام ٥٦٧هـ[1] في المجموعة الشعرية التي نقل الأربلي قسماً منها في كتابه حيث قال: «قال: تم شعر مولانا الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام وهو عزيز الوجود»[2].

ومما لا شك فيه أن ابن الخشاب كان من المهتمين بالشعر المنسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام ولكن هل جمع شعر الإمام عليه السلام أم أنه خط ما جمعه أبو مخنف فقط، فالظاهر من كلام الأربلي والذي مع الأسف فيه شيء من الغموض أن دوره كان دور الخطاط والكاتب، ولكن عدم إفصاح الأربلي في بعض الأحيان وإقحام تعليقاته من جهة ضيع علينا الحقيقة حيث لم يعد مفهوماً هل التعليقات التي أوردها هي من كلامه أو كلام أبي مخنف أو كلام ابن الخشاب إذ يقول مثلاً: وقال: «وإن تكن الدنيا تعد نفيسة» وقد تقدم ذكرها، ثم يذكر أبياتاً وبعدها مباشرة يقول: وهي طويلة، وتارة يحدد قوله بكلمة «قلت» وأخرى لا يسبق كلامه ما يشير إلى ذلك.

وعلى أية حال فلننقل بعض ما يرتبط بابن الخشاب، قال الأربلي: «فأما شعره عليه السلام فقد ذكر الرواة له شعراً ووقع إلي شعره عليه السلام بخط الشيخ عبد الله أحمد بن أحمد ابن الخشاب النحوي رحمة الله عليه وفيه قال: أبو مخنف....»[3].

وفي موضع آخر يقول: «كذا بخط ابن الخشاب ـ شره بالإضافة[4] وأظنه وهماً منه...»[5]

وأخيراً يقول: «قال: تم شعر مولانا الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو عزيز الوجود».

والحاصل أن ما كتبه ابن الخشاب إن كان مستقلاً عما جمعه أبو مخنف فإنه أورد في كتابه كل ما جمعه أبو مخنف، ولا شك أن ثلاث قصائد منها جاءت مبتورة ولا نعلم أهي من عمل الأول (أبو مخنف) أو الثاني «ابن الخشاب» أو الثالث «الأربلي» احداهما الهمزية التي أولها:

إذا استنصر المرء امرءاً لا يدي له
فناصره والخاذلون سواء[6]

والثانية: اللامية التي مطلعها:

أبي عليٌّ وجدي خاتم الرسلِ
والمرتضون لدين الله من قبلي

والثالثة: النونية التي أولها:

ما يحفظ الله يصن   ما يصنع الله يهن[7]

وعلى أية حال فإن كتب المعاجم والتراجم خالية عن مثل هذا المصنف سواء الديوان الذي جمعه أبو مخنف والذي يصرح به الأربلي في آخر حديثه عن شعر الإمام الحسين عليه السلام، أو ما خطه ابن شهاب بيراعه من شعر الإمام الحسين عليه السلام، ولعل المستقبل يكشف لنا الكثير من الحقائق التاريخية والتراثية التي غابت عنا.

نصح الأبرار

ديوان شعر منسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام عثر عليه الشيخ أحمد الصابري[8] أيام تحمله مسؤولية التبليغ في اسطنبول بمكتبة بايزيد ونترك الكلام له:

«من نعم الله تعالى وفضله عليّ في سفري إلى استانبول (القسطنطينية القديمة) وإقامتي بها سبع سنين لإدارة شؤون الطائفة الجعفرية، من الجهات الدينية الارتباط برجال العلم والدين، والشركة معهم في محافلهم العلمية، والأنس بالمكتبات العظيمة، المملوءة بالآثار النفيسة، المشحونة بالذخائر الدينية والأدبية، والمخطوطة والمطبوعة، القديمة والجديدة كمكتبة السليمانية، وراغب باشا، وكوبر لو، ومكتبة أيا صوفية وبايزيد، ونو عثماني، ومكتبة البلدية ودار الفنون، وغيرها من المكتبات العظيمة».

ويتابع كلامه قائلاً: «ومن تلك الدرر الثمينة ديوان منسوب إلى الإمام الشهيد سيد الإباء والشهداء الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما، عثرت عليه في مكتبة بايزيد بإستانبول قرب جامع بايزيد في ضمن رسائل مخطوطة يقرب تاريخ أكثرها من القرن الثامن الهجري، لكن النسخة لم تكن مؤرخة ولا مقيدة باسم الناسخ والجامع، إلا أن أسلوب الخط كان يشهد بقدمه وعنوان الديوان للإمام الحسين بن علي ولكن في فهرست المكتبة ذكر باسم نصح الأبرار»[9].

وقد اتصلنا به للحصول على نسخة من الكتاب فذكر لنا أنه لا يملك صورها وإنما استنسخها حيث لم تسمح له الإدارة المسؤولة عن المكتبة بتصويره، وذكر لنا: أنه ليس لديه أكثر مما أودعه في كتابه أدب الحسين وحماسته[10]، وحاولنا الحصول عليه من اسطنبول فما حالفنا الحظ. هذا ولم نجد له ذكراً في المعاجم الخاصة بالمؤلفات.

وعلى العموم فإن الديوان يحتوي على تسع وعشرين مقطوعة شعرية خماسية على جميع القوافي نظمت أبياتها على بحر الوافر وهي في الوعظ والحكمة وهي نفسها التي نسبت إلى الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وسنأتي على ذكرها إن شاء الله تعالى[١١][١٢].

---

١ . ابن الخشاب: هو عبد الله بن أحمد بن محمد (أحمد) بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي المكنى بأبي محمد ولد عام ٤٩٢هـ، وكان من أهل بغداد ومن أعلامها المشهورين في الأدب والنحو والتفسير والحديث والنسب والفرائض والحساب وحفظ الكتاب بالقراءات الكثيرة، وكان ضليعاً في العلوم وله فيها اليد الطولى وكان خطه في غاية الحسن، كما أنه كان شاعراً إلا أنه كان مقلاً، قيل أنه كان يؤدب أولاد العباسيين، توفي في بغداد، له مؤلفات جليلة عد منها: مواليد الأئمة، حاشية درة الغواص للحريري، الرد على بابشاذ في شرح الجمل، الرد على تهذيب الإصلاح للتبريزي، الرد على الحريري في مقاماته، شرح مقامات الحريري، شرح مقدمة النحو لابن هبيرة، اللامع في النحو، المجمل في شرح الجمل الصغيرة، المرتجل في شرح الجمل الكبيرة للجرجاني، راجع وفيات الأعيان: ٣/١٠٢-١، الأعلام للزركلي: ٤/٦٧، الثقات العيون: ١٦١.

٢ . كشف الغمة: ص ٢٥٠.

٣ . كشف الغمة: ٢/٢٤٥.

٤ . قوله: شره بالإضافة: تعليق على ما ورد في البيت «شره من خيره» فقال شره بالإضافة.

٥ . كشف الغمة: ٢/٢٤٧.

٦ . راجع المقطوعة الثانية من هذا الديوان.

٧ . سيأتي في حرف اللام «الجزء الثاني من هذا الديوان».

٨ . راجع حرف النون من الجزء الثاني من هذا الديوان.

٩ . هو الشيخ أحمد الصابري الهمداني أحد فضلاء قم المعاصرين، أقام باستامبول كمبلغ إسلامي في فترات مختلفة زرته بإيران وباسطنبول، وأطول فترة قضاها هناك هي قبل عام ١٣٩١هـ.

١٠ . أدب الحسين وحماسته: ٧-٨.

١١ . كما لا يوجد لديه أي من المصادر التي ذكرها مثل ديوان الإمام السجاد عليه السلام أو التحفة السجادية.

١٢ . ديوان الإمام الحسين عليه السلام - من الشعر المنسوب إليه، ج١ - ص٢٤ - ٢٧.

ونطق الدهر

عشرة أبيات من الطويل(*)

١- لقد حملتنا في الزمان نوائبه … ومزقنا أنيابه ومخالبه

٢- وجار علينا الدهر في دار غربة … ودبت بما نخشى علينا عقاربه

٣- وأفجعنا بالأقربين وشتّتْ … يداه لنا شملا عزيزاً مطالبه

٤- وأردى أخي والمرتجى لنوائب … وعمت رزاياه وجلت مصائبه

٥- حسينٌ لقد أمسى به الترب مشرقاً … وأظلم من دين الإله مذاهبه

٦- لقد حل بي منه الذي لو يسيره … أناخ على رضوى تداعت جوانبه

٧- ويحزنني أني أعيش وشخصه … مُغيب ومن تحت التراب ترائبه

٨- فكيف يعزّى فاقدٌ شطر نفسه … فجانبه حي وقد مات جانبه

٩- فلم يبق لي ركن ألوذ بظله … إذا غالني في الدهر ما لا أُغالبه

١٠- تمزقنا أيدي الزمان وجدنا الر … سول الذي عم الأنام مواهبه[١١]

الأبيات لأم كلثوم الكبرى بنت علي ابن أبي طالب عليه السلام المتوفاة سنة ٦١هـ رثت بها أخاها الحسين عليه السلام، وفي نور العين نسبها إلى شقيقتها زينب الكبرى، وفي الينابيع نسبها إلى سكينة.

(❖) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٥١، ناسخ التواريخ: ٣/٤، أسرار الشهادة: ٤٣٥، نور العين في مشهد الحسين: ٣٣، ينابيع المودة: ٢/١٧٥.

١ . في الأسرار والينابيع: «لقد حطمتنا» في النور: «لقد حط فينا من زمان نوائبه».

النائبة: النازلة والمصيبة.

وفي النور: «وفرقنا» بدل «ومزقنا».

٢ . جاء البيت في الينابيع هكذا:

وخان علينا الدهر في الدار غربة … ودبت علينا جوره وعقاربه

في الناسخ: «وأجنى علينا» وفي النور: «في أرض غربة» وفي النور أيضاً: «ودبت علينا بالرزايا عقاربه».

دبت: يقال دبت عقاربه أي سرت نمائمه وأذاه.

٣ . أفجعته المصيبة: أوجعته بإعدامه ما يتعلق به من أهل أو مال. في الأسرار: «وأفجعني» وفيه أيضاً: «لنا قتلاً بعيداً نطالبه».

٤ . في الناسخ: «وأودى» وفيه أيضاً: «لنوائبي» وفي الأسرار: «وتحت رزاياه وجلت».

وجاء في النور:

وجار علينا البين مع غاية الردى … وطمّت رزاياه وحلت مصائبه

وجاء فيه ايضاً:

أرادوا أخي بالقتل عمداً وخيبة … وما خلفوه ذا الأسى ونوائبه

٥ . في النور: «حسين لقد أمسى قتيلاً مجندلا».

المذهب: الطريق والسبيل.

٦ . أناخ البلاء بفلان: أقام عليه. في الأسرار:

وقد حل بي فيه الذي لو أباشر … أناجي على رضوى تداعت جوانبه

٧ . مغيب: أي مغيّب، ولعله لو استعيض عنها بـ«بعيد» مثلاً لكان أفضل.

الترائب: جمع تريبة، وهي أعلى الصدر، أو العظمة من الصدر.

الذي يموت نصف جسمه فهو كالميت. البيت لا يخلو من جمال في الصورة.

في الأسرار: «وكيف» وفيه: «وجانبه» بالواو بدل الفاء.

٩ . الركن: العز، المنعة، ما يقوى به، والركن من الشيء: جزؤه.

في الناسخ: «ألوذ بركنه».

وفي الأسرار:

ولم يبق لي ركن أعيش بظله … وغالبني في الأمر من لا أغالبه

وفي الينابيع: «ولم يبق» وفيه أيضاً: «إذا غالبني الدهر ...».

وجاء العجز في النور: «ومن ذا يعاني الدهر من ذا يغالبه».

لاذ بالجبل: استتر به واحتصن والتجأ إليه.

غال فلاناً كذا وكذا: وصل إليه منه شر، وغاله: أوصل إليه الشر من حيث لا يعلم.

١٠ . جاء العجز في مقتل أبي مخنف: «رسول الله عم الأنام مواهبه» واضطرابه لا يخفى.

الموهبة: العطية.

وجاء في النور:

وفرقنا هذا الزمان منتتاً … وأرخت علينا الفاجعات نكائبه

١١ . ديوان القرن الأول، محمد صادق الكرباسي: ج١، ص٤٦ - ٤٧.

وجوه إعجاز القرآن

لا يرتاب ذو مسكة في اختلاف طبقات الناس، وتنوع أفراد البشر في اجتباء الكمالات العملية المختلفة، وحيازة شتى الفنون. والوجه في ذلك - مضافاً إلى افتقار تحصيل كل واحدة منها إلى صرف مؤنة الزمان، وغيره من المقدمات الكثيرة والأسباب المتعددة - اختلافهم بحسب النظر والتفكر وتفاوتهم بلحاظ الذوق والعلاقة فترى بعضهم يشتري بعمره الطويل الوصول إلى العلوم الصناعية وبعضاً آخر يتحمل مشقات فوق الطاقة العادية لتحصيل علم الفلسفة مثلاً، وهكذا سائر العلوم والمعارف المادية والمعنوية، بل اتساع دائرة جميع العلوم اقتضى انقسام كل واحدة منها إلى شعب وأقسام، بحيث لا يكاد يوجد من حازها بجميع شعبها ونالها بتمام أقسامها، وهذا كما في علم الطب في هذه الأزمنة والعصور المتأخرة، فانه لا يوجد واحد مطلع على جميع شؤونه المتكثرة، وشعبه المتعددة، بل بعد صرف زمان طويل وتهيئة مقدمات كثيرة قد يقدر على الوصول إلى بعض شعبه، وحصول المهارة الكاملة في خصوص تلك الشعبة، كما نراه بالوجدان.

وبالجملة: ما ذكرناه في اختلاف طبقات البشر، واتساع دائرة كل علم من العلوم، بحيث لا يكاد يمكن الوصول إلى علم بتمام شؤونه فكيف الجميع، مما لا حاجة في إثباته إلى بينة وبرهان، بل يكفي في تصديقه مجرد ملاحظة الوجدان.

وحينئذ نقول: ان الكتاب العزيز، والقرآن المجيد حيث يكون الغرض من إنزاله، والغاية من إرساله، اهتداء عموم الناس، وخروجهم من الظلمات إلى النور، والظاهر عدم اختصاص الناس بخصوص الموجودين في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كما تقدم معجزة خالدة إلى يوم القيامة. مضافاً إلى أنه كتاب جامع لجميع الكمالات المعنوية، والفضائل الروحية، والقوانين العملية، والدستورات الكاملة الدنيوية حيث أنه يتضمن البحث عن الأصول الاعتقادية المطابقة للفطرة السليمة، وعن الفضائل الأخلاقية، والقوانين الشرعية، والقصص الماضية، والحوادث الآتية، وبالتالي عن جميع الموجودات الأرضية والسماوية، وجميع الحالات والعوالم، وكل ماله دخل في سعادة الإنسان في الدار الفانية والدار الباقية، فمثل هذا الكتاب - الذي ليس كمثله كتاب - كيف يمكن ان يكون إعجازه من وجه خاص، مع كونه واقعاً قبال جميع البشر، بل والجن أيضاً.

والذي ينادي بذلك بأعلى صوته قوله تعالى في سورة الإسراء الآية: ٨٨. « قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ».

وجه الدلالة:

أولاً: فرض اجتماع الإنس والجن، وفي الحقيقة دعوتهم إلى الإتيان بمثل القرآن، مع انك عرفت ثبوت الاختلاف بينهم، واختصاص كل طبقة وطائفة بفضيلة خاصة من سنخ الفضائل التي يشتمل عليها الكتاب، فكيف يمكن أن يكون وجه الإعجاز هي البلاغة والفصاحة - مثلاً - مع أنه لم يقع التصدي للوصول إلى هذين العلمين الا من صنف خاص قليل الافراد، فدعوة غيره إلى الإتيان بمثل القرآن من خصوص هذه الجهة لا يترتب عليها فائدة أصلاً، فتوجه الدعوة إلى العموم دليل ظاهر على عدم اختصاص الإعجاز بوجه خاص.

وثانياً: قد عرفت اشتمال الكتاب العزيز على جهات متكثرة، وشؤون مختلفة من الأصول الاعتقادية الراجعة إلى الإلهيات والنبوات وغيرهما، والفضائل الأخلاقية والسياسات المدنية، والقوانين التشريعية العملية، وغير ذلك من القصص والحكايات الماضية والحوادث الكائنة في الآتية، والأمور الراجعة إلى الفلكيات، ووصف الموجودات السماوية والأرضية، وغير ذلك، مضافاً إلى الجهات الراجعة إلى مقام الألفاظ والعبارات، وحينئذ عدم ذكر وجه المماثلة في الآية الكريمة، مع عدم الانصراف إلى وجه خاص من تلك الوجوه المذكورة دليل على عدم الاختصاص، وان اجتماع الجن والإنس واستظهار بعضهم ببعض لا يكاد يؤثر في الإتيان بمثل القرآن في شيء من الوجوه المذكورة.

وقد انقدح من جميع ما ذكرنا فساد دعوى اختصاص الإعجاز بوجه خاص - أي وجه كان - نعم قد وقع التحدي في الكتاب ببعض الوجوه والمزايا، ولا بأس بالتعرض لها ولبعض ما لم يقع التحدي فيه بالخصوص، تتميماً للفائدة، وتعظيماً للكتاب الذي هو المعجزة الوحيدة الخالدة.

التحدي بعدم الاختلاف والسلامة والاستقامة

قال الله تبارك وتعالى في سورة النساء الآية ٨٢: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا »

دل على ثبوت الملازمة بين كون القرآن من عند الله ووجدان الاختلاف الكثير فيه وجداناً حقيقياً، فلا بد من استكشاف بطلان المقدم من بطلان التالي وحيث أن الموضوع هو القرآن المعهود بتمام

خصوصياته، وجميع شـؤونه ومزاياه، فلا يكاد يتوهم ان كل كتاب لو كان من عند الله لكان ذلك مستلزماً لوجدان الاختلاف الكثير فيه، حتى يرد عليه منع الملازمة في بعض الموارد، بل في كثيرها، ضرورة ان الموضوع الذي يدور حوله اختلاف الأنظار، من جهة كونه نازلاً من عند غيره هو شخص القرآن الكريم، الذي هو كتاب خاص فالملازمة إنما هي بالإضافة إليه.

وحينئذ فلا بد من ملاحظة الجهات الكثيرة التي يشتمل عليها، والخصوصيات المتنوعة التي يحيط بها، والمزايا الحقيقية التي يمتاز بها، وكل جهة ينبغي ان تلحظ، وكل أمر يناسب ان يراعى.

فنقول: تارة يلاحظ نفس القرآن ويجعل موضوعاً للملازمة، مع قطع النظر عن كون الآتي به مدعياً، لكونه من عند الله، وانه انزل عليه من مبدأ الوحي، وأخرى مع ملاحظة الاقتران بدعوى كونه من عند غير الممكن.

فعلى الأول: يكون الوجه في الملازمة الخصوصيات التي يشتمل عليها القرآن من جهة اشتماله على فنون المعارف، وشتى العلوم، كالأصول الاعتقادية، والقوانين الشرعية العلمية، والفضائل الكاملة الأخلاقية، والقصص والحكايات التاريخية، والحوادث الكائنة في الآتية، والعلوم الراجعة إلى الفلكيات، وبعض الموجودات غير المرئية، وغير ذلك من الجهات التي لا تحيط بها يد الإحصاء، ولا تنالها أفكار العقلاء ضرورة ان مثل هذا الكتاب المشتمل على هذه الخصوصيات لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، بداهة ان نشأة المادة تلازم التحول والتكامل، والموجودات التي هي أجزاء هذا العالم لا تزال تتحول وتتكامل، وتتجه من النقص إلى الكمال ومن الضعف إلى القوة، والإنسان الذي هو من جملة هذه الموجودات محكوم أيضاً لهذا القانون الطبيعي، ومعرض للتغيير والتبدل، والتحول والتكامل في ذاته وأفعاله وآثاره وأفكاره وادراكاته ولا يكاد ينقضي عليه أزمان، وهو غير متغير ـ ولا يتصرم عليه أحيان وهو غير متبدل.

أضف إلى ذلك: ان عروض الأحوال الخارجية، وتبديل العوارض الحادثة يؤثر في الإنسان أثراً عجيباً، ويغيره تغيراً عظيماً، فحالة الامن تغاير الخوف من جهة التأثير، والسفر والحضر متفاوتان كذلك، والفقر والغنى والسلامة والمرض، كل ذلك على هذا المنوال. وعليه فكيف يمكن ان يكون الكتاب النازل في مدة زادت على عشرين سنة، الجامع للخصوصيات المذكورة وغيرها، من عند الله، ومع ذلك لم يوجد فيه اختلاف، فضلاً عن ان يكون كثيراً، ولم يرفيه تناقض، فضلاً عن ان يكون عديداً.

وعلى الثاني: يكون الوجه في الملازمة ـ مضافاً إلى الخصوصيات المشتمل عليها الكتاب ـ الاقتران بدعوى كونه من عند الله، نظراً إلى ان الذي يبني أمره على الكذب والافتراء لا محيص له عن الوقوع في الاختلاف والتناقض، ولا سيما إذا تعرض لجميع الشؤون البشرية والأمور المهمة الدنيوية والأخروية، وخصوصاً إذا كانت المدة كثيرة زادت على عشرين سنة، وفي المثل المعروف: «لاحافظة لكذوب». ثم ان في هذا المقام إشكالين:

احدهما: منع بطلان التالي المستلزم لبطلان المقدم، لأنه قد اخذ على القرآن مناقضات واختلافات، وقد بلغت من الكثرة إلى حد ربما ألف فيها المؤلفات، وكتب فيها الرسالات.

والجواب عنه: ان المناقضات المذكورة كلها مذكورة في كتب المفسرين، ومأخوذة منها وقد أوردوها مع أجوبتها في تفاسيرهم، وغرضهم من ذلك ازالة كل شبهة يمكن ان تورد، ودفع كل توهم يمكن ان يتخيل، لكن الأيادي الخائنة، والعناصر الضالة المضلة المرصدة لاستفادة السوء من كل قضية وحادثة قد جمعوا تلك الشبهات في كتب ومؤلفات، من دون التعرض للأجوبة الكافية، ونعم ما قيل:

«لو كانت عين الرضا متهمة فعين السخط أولى بالتهمة».

والآخر: اعتراف القرآن بوقوع النسخ فيه، في قوله تعالى في سورة البقرة، الآية: ١٠٦ «مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ» وفي قوله تعالى في سورة النحل، الآية: ١٠١« وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ » والنسخ من أظهر مصاديق الاختلاف.

والجواب عنه:

أولاً: منع كون النسخ اختلافاً، فضلاً عن ان يكون من أظهر مصاديقه فانه ـ بحسب الاصطلاح ـ يرجع إلى رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، ومن الواضح ان ارتفاع الحكم لأجل ارتفاع زمانه لا يعد تناقضاً، ولا يوجب اختلافاً.

وثانياً: فان النسخ إن كان بنحوٍ تكون الآية الناسخة ناظرة بالدلالة اللفظية إلى الحكم المنسوخ، ومبينة لرفعه، كما في آية النجوى الواقعة في سورة المجادلة، الآية: ١٢.

«يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

حيث ذهب أكثر العلماء إلى نسخها بقوله تعالى بعد هذه الآية: ١٣.

« ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ».

فعدم كونه من مصاديق الاختلاف مما ينبغي فيه الشك والارتياب. وإن كان بنحو يكون مقتضى الجمع بين الآيتين اللتين يتراءى بينهما الاختلاف والتنافي، هو حمل الآية المتأخرة على كونها ناسخة، والمتقدمة على كونها منسوخة ـ كما التزم به كثير من المفسرين ـ فثبوته في القرآن غير معلوم، ولا بد من البحث عنه في فصل مستقل ولم لا يجوز الاستدلال بهذه الآية أعني قوله تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان» الآية على نفي وقوعه في القرآن وسلامته من ثبوت النسخ فيه بهذا المعنى، كما لا يخفى[1].

---

(١) مدخل التفسير: محمد فاضل اللنكراني: ٤٧ ـ ٤٩، ٥٢ ـ ٥٥.

المجتمع والطبقات الاجتماعية في نهج البلاغة

القسم الثالث: الزرَّاع

كانت طبقة المزارعين في زمان الإمام عليه السلام من أعظم الطبقات الاجتماعية، وأبلغها أثراً في حياة المجتمع، وكانت تمثل الغالبية العظمى من أفراده، كما تمثل طبقة العمال في العصر الحديث الغالبية العظمى من أفراد المجتمع.

فكان كيان الأمة الاقتصادي يقوم على الأرض ومنتجاتها، لأن الصناعة لم تكن إذ ذاك على حال تسمح بأن يقوم عليها الصرح الاقتصادي للأمة، لضعفها وضيق نطاقها.

ولم تكن التجارة وحدها كذلك لتسمح بإقامة هذا الصرح في كثير من البلدان، لعدم انتظام التجارة العالمية إذ ذاك، ولضعف المواصلات، ولعدم وجود طرق تجارية كافية ومأمونة في جميع الأوقات.

إذن فقد كانت الرفاهية الاقتصادية منوطة بأن تتاح للأرض أفضل الفرص التي تمكنها من أن تعطي عطاء كثيراً، ومنوطة بأن تتاح للزراع أفضل الوسائل التي تعينه على صيانة أرضه، وخدمتها، والحصول منها على نتاج وفير.

وقد برهن الإمام عليه السلام في عهده إلى الأشتر أنه على وعي تام لمدى أهمية هذه الطبقة في الكيان الاجتماعي، فيقرر الإمام عليه السلام أن النشاط الاقتصادي كله يتوقف على ما يدفعه أهل الخراج من الأموال.. لذا نرى الإمام عليه السلام يوصي مالكاً الأشتر بقوله: (وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله).

وصيانة الأرض ليست أمراً يعود بالنفع على هذه الطبقة وحدها، وإنما يعود بالنفع على الدولة كلها، فقد رأينا ما لنشاط طبقة الفلاحين من تغلغل حيوي في العمليات الاجتماعية، فصيانة الأرض والحال هذه من المصالح العامة، فيجب الإنفاق عليها من الأموال العامة.

قال عليه السلام لمالك الاشتر: (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقِم أمره إلا قليلاً).

وطبقة الفلاحين أكثر الطبقات كدحاً، وأشقها عملاً. فعند من عداهم من الطبقات والطوائف وقت مخصص من اليوم للعمل، وأوقات أخرى للراحة والتسلية، بخلاف الفلاحين فإن عملهم يمتد طول اليوم، وعلى مدار العام. وهذا العمل إما في مركز الإنتاج وهو الحقل، وأما في بيوتهم بإعداد البذار والآلات وما إليها. وحتى في

الأوقات التي ينقطعون فيها عن العمل هنا وهناك لا ينقطعون عنه في أحاديثهم وتصوراتهم.

هذا العمل المرهق يجب أن يقابله مستوى من المعيشة، ومقدار من الدخل يشعر هذه الطبقة بأنها حين تعمل لا تستغل لصالح الآخرين وإنما تعمل لنفسها في الدرجة الأولى. ويجب أن يشعر الفلاح بأنه سيد أرضه ولا يمكن لأحد أن ينازعه في هذه السيادة.

لهذا، يجب أن يكون مسموع الكلمة فيما يتصل بأرضه وبقدرها على الإنتاج، فإذا اشتكى ثقل الخراج لعدم تناسبه مع إنتاج الأرض، أو شكا آفة ألمت بالأرض فأثرت على إنتاجها، أو ذهبت به فلذلك لا يستطيع دفع ما فرض عليه من المال، إذا شكا شيئاً من هذا كان من اللازم أن يسمع كلامه فيوضع عنه من المال مقدار ما يصلحه.

وفي هذا الصدد يقول الإمام عليه السلام لمالك الأشتر: «فإن شكوا ثقلاً أو علة، أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم».

فمن الشروط الأساسية لنجاح العمل وازدهاره أن يقبل العامل عليه بهمة ونشاط، وأن يشعر نحوه بالحب والرغبة. وأن يحس حين يزاوله أنه ينمي به شخصيته الإنسانية، ويؤكد قدرها على الإبداع ـ إذا كان هذا هو موقف العامل النفسي من عمله ازدهر العمل وتقدم، ولا يمكن أن يقف العامل من عمله هذا الموقف إلا إذا شعر بأن عمله له، وبأنه يعود عليه بالنفع والفائدة.

ومن هنا عُدّت الملكية الخاصة من أعظم الأسباب الدافعة إلى ازدهار العمل، لأن هذا اللون من الملكية يدفع العامل إلى بذل طاقته كلها مع شعوره بالسرور لأنه يعمل لنفسه.

ويتغير هذا الموقف حين يكون العمل للآخر ولا يرجع إلى العامل من ثمراته شيء يذكر، فإنه حين ذلك يشعر بالكراهية نحو عمله، ويتهاون فيه ولا يتحرى كماله واتقانه ويتحرى الفرص للتهرب منه، وهذا يضعف سير العمل، ويهبط به، ويسري هذا الموقف النفسي إلى صاحب العمل نفسه فيتمنى العامل هلاكه، ليتخلص منه.

هذه الملاحظات تفيدنا هنا.

فحينما توضع على الفلاحين الضرائب الفادحة التي لا تتناسب مع دخلهم، مع إهمال عمارة الأرض وصيانتها يشعر هؤلاء الفلاحون أنهم لا يعملون لأنفسهم، ولا يجنون من وراء كدحهم المرهق شيئاً ذا قيمة، وإنما يعملون لغيرهم، ويستغلهم غيرهم استغلالا بشعاً وذلك يخلق في نفوسهم كراهية عملهم والتذمر منه.

إن هذه المعاملة التي تحدث هذا الشعور وتدفع إلى هذا الموقف تخلف في المجتمع آثاراً ضارة قد تقوض المجتمع من أساسه.

هذه المعاملة تدفع بأضخم طبقة في الأمة إلى انحلال أخلاقي فظيع، فهذا الفلاح الذي يستغل الحاكم جهده دون أن يعوضه عليه شيئاً يريد أن يعيش، وهو يتوصل إلى غايته هذه بالكذب والغش والتهريب والسرقة فبدلا من أن يعيش من أرضه بجهده يضطر إلى العيش من جيوب الآخرين بسلاحه، وينقلب قاطع طريق، مجرماً، عدواً للمجتمع، بعد أن كان المفروض فيه أن يكون لبنة تزيد صرح المجتمع قوة ومناعة.

هذه الكوارث الاجتماعية تنشأ من عدم التبصر في إمكانات الإنتاج وحالة المنتجين. وقد وضع الإمام عليه السلام من المبادئ ما يعصم أتباعه من التردي، فبين أن على الحاكم قبل أن يفكر في وضع الضريبة أن يلاحظ حالة الأرض فيعمرها ويصلحها، وأن يراعي حالة العامل النفسية والمعيشية فيضمن له العيش في مستوى لائق لئلا يشعر بالاضطهاد، وعندما يفرغ من ذلك كله يحق له أن يضع الضريبة التي تتناسب مع مستوى الإنتاج ومقدرة المنتجين.

قال عليه السلام:

(وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر).

ولا يكفي هذا وحده في ازدهار هذه الطبقة وتقدمها، فقد يكون الحاكم محسناً إليها رؤوفاً بها، ومع ذلك ينالها الظلم، ويلحق بها الحيف.

إن هذه الطبقة بحاجة إلى الحماية من طبقة الخاصة والنبلاء.

فهؤلاء يظلمون، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، ولا يفيئون إلى حق، اعتزازاً بقوتهم وغناهم وصلتهم بالحاكمين، ولذلك فيجب أن تحمى هذه الطبقة منهم بقطعهم عنها، ويكون ذلك بألا يجعل الحاكم لهم سبيلاً عليها ولا صلة بها فلا يقطعهم الحاكم أرضاً تتصل بأرض من هم دونهم قوة وقدراً لأنهم يستغلون المرافق العامة في سبيل منافعهم الخاصة، ويعتدون على أرض غيرهم فيلحقوها بأرضهم، ويعفيهم الجباة من الضرائب مراعاة لمنزلتهم، ويضعون ما رفعوه عنهم على أعناق غيرهم ممن ليس له مثل منزلتهم، وذلك أفدح الظلم وأقبحه. فإذا ما حدث شيء من ذلك وتعدى أحد هؤلاء على بعض الناس فظلمه بأن وضع عليه خراجه، أو سلبه أرضه، أو حرمه الانتفاع بالمرافق العامة، وجب على الحاكم أن يؤدبه ويرده إلى العدل كائناً من كان.

قال عليه السلام:

(ثم إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول، وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال. ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة.

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فإن مغبة ذلك محمودة)[1].

---

(١) دراسات في نهج البلاغة ـ محمد مهدي شمس الدين: ج١، ص١٠٥ ـ ١١٨ بتصرف بسيط.

التفكير بالواجب

وكان يمكننا أن نقول: (الشعور بالواجب)، ولكننا آثرنا كلمة (التفكير) لأننا أردنا أن يكون الواجب هو شغل الفكر الشاغل الذي يسد على صاحبه كل المنافذ فلا يتركه يهتم بشيء قبل أن يقوم بأدائه ليحصل على رضا فكره وطمأنينة ضميره.

والحق أننا لا نشعر بالواجب ولا نفكر فيه، وأن العادة تغلب علينا فلا نفعل الخير والشر إلا مع التيار الذي يجرفنا، وكذلك كثيرا ما نرتكب الخير والشر حبا في إرضاء الناس، شأن الذين يحبون أن يعجبوا لا يهمهم إذا سروا الناس بفعلهم أن يكونوا فعلوا النفع أو جلبوا الضر. إننا قادرون على التفكير ببعض ما نعتقد أنه مصلحتنا الخاصة فيما يرجع لطعامنا وشرابنا مثلا، وفيما يوصلنا لبعض الأرباح التي نريدها. ولكننا إذا وقفنا إزاء الواجب بقينا حائرين لا نبدي أي اهتمام به ولا شعور.

فعلى الرغم من كل ما مر من مظاهر التطور لم يصل الذهن العربي خصوصا ليحل الواجب المقدس منه محل الحاجات الفردية الخاصة، ولذلك فما زال الإنسان في البلدان العربية يعتبر الواجب شيئا ثانوياً يمكنه أن يقوم به متى انتهى من مآربه الخاصة وشؤونه الأكثر حيوية.

وفقدان هذا الخلق، خلق التفكير بالواجب، هو الذي يجرفنا لمصيبة أعظم وأخطر، إنها مصيبة إلغاء الوقت وعدم الاعتناء به في أعمالنا؛ فبينما يشعر تجارنا ورجال المال منا بضرورة الوصول في الوقت المحدد لأداء ما عليهم نحو بنك معين أو دار تجارية معروفة حتى لا تضيع عليهم معاملة ما، إذا ببعض الذين يعملون في الحقل الوطني لا يهتمون بالوقت في قليل ولا كثير، فأعمالهم تسير وفق ما يتيسر وبقدر ما تتيحه الفرصة، فقد تمر ساعة من ساعات التجلي نشتغل فيها ليل نهار ونقوم فيها بالواجب وأكثر منه، ثم تمر علينا آونة فتور نترك فيها حتى أداء الحق المفروض بقواعد المعاملات الوظيفية.

فلو كان أغنياؤنا أنفسهم يفكرون في مصالح الأمة بقدر ما يفكرون في مصالح معاملاتهم لكان لهم من مالهم ومن فكرهم حق معلوم دائم يؤدونه من تلقاء أنفسهم دون أن يحوجوا أحداً للمطالبة به أو لدعوتهم للاكتتاب به.

وظاهرة أخرى من آثار هذا النقص الذريع فإن فئة من وجهاء المجتمع تستطيع أن تنتج للمجتمع وأبنائه كل ما يتطلبه منها، ولكنها دائمة الاعتذار بشغل الوقت وضياع الذهن،

فإذا كان هناك ميدان تظهر فيه آثار هذا العمل للناس زال عنها ذلك الشغل، وتجمع لديها الذهن، أي أنها لا تستطيع أن تؤدي الواجب لنفسه إذا لم يكن هناك جو يبدو فيه عملها ويظهر أثره للناس.

فالمراكز ذات الظهور وذات الشفوف هي التي يطمح إليها ويرغب في العمل فيها، مع أن العمل واحد والتضحية من أجله واحدة، وإنما هي حاجة في النفس تطغى عليها حتى لا تهتم بالواجب ولا تحس بالمفروض.

إن عدم الاهتمام بالواجب هو الذي يفسد على عائلتنا تربية أبنائها وطمأنينة حياتها، وهو الذي يفسد على ولاتنا مقدرتهم على تحمل المسؤولية والاضطلاع بالمهام، وهو الذي يحول دون صحفنا ومجلاتنا من ان تسير إلى الأمام، لأنها لا تجد أولئك الكتاب الذين يواظبون على أداء مهمة الكتابة المتقنة في الوقت المنشود، وهي التي كثيرا ما تمس بصميم حركتنا فتؤخر نجاح عديد من أعمالها.

ان التفكير بالواجب وأداءه في وقته من الأسس الضرورية للقدرة على المواظبة والخلق، وانه مادام لم يتسرب في نفوسنا فنحن لا نستطيع أن نأتي الأعمال إلا مبعثرة وغير خاضعة لترتيب مضبوط.

لقد شرع الإسلام الصلاة في أوقات معينة، والصيام في شهر محدود، والحج في أيام معدودات، كل ذلك ليعلمنا التفكير بالواجب ويدربنا على أدائه في مواقيته التي لا تقبل التأخير، ولكننا أضعنا الصلاة وألفنا الصيام وأهملنا كل ما يبعث في نفوسنا هذه الغاية التي قصد إليها الإسلام.

ان الفكر وحده هو الذي يستطيع أن يصلح منا هذا الفساد، لأنه امتاز به الإنسان عن غيره من الحيوانات التي تخضع للوهم، وعما عداها من الآلات التي تسير حسب ناموس أصم، ولكن فكرنا اليوم قد غطته نشوة الراحة الكاذبة، والمصيبة أننا لا نستريح بل ربما نكسل حتى عن التفكير في جلب وسائل الراحة وتنظيمها لأنها تتطلب منا مجهوداً عقلياً لسنا نريد أن نبذله.

اننا لا نحب التعب؛ بل اننا نخاف منه قبل وقوعه، فكلما حاولنا التفكير في موضوع ما لم نلبث أن تجبهنا حاسة الجبن إزاءه فنقطع عنه ونعمل كل ما في استطاعتنا الداخلية لتحويلنا عنه، فكأن لنا من نفسنا باعثاً قوياً يصرفنا عن كل ما من شأنه أن يبعث في أعماقنا الشعور بالواجب أو الاهتمام به. إن آلتنا النفسية تشتغل كثيرا ولكن شغلها جميعه في تبرير كسلنا أمام أنفسنا.

لقد لمت يوماً بعض الأدباء عن عدم كتابته في الصحف مع ان في استطاعته أن يعبر عن كثير من الأفكار الطبيعية التي يشعر بها، أتدري بماذا أجابني؟ لقد قال لي: لماذا نطلع الاستعمار على أفكارنا من بين ثنايا مقالاتنا فنصبح جواسيس على أنفسنا... أليس في هذا الجواب ما يعبر عن عناء في التفكير لتبرير الامتناع عن أداء الواجب؟ ان كثيرا من الناس يخلطون الكسل بالمثل ويبررون تقاعسهم عن القيام بالواجب بأتفه ما يتصوره إنسان.

يتحدثون في الغرب كثيراً عن سياسة النعامة لأنها إذا خشيت الصائد سترت رأسها بجناحها فلا تفعل إلا أن تفسح للصائد فرصة قبضها من أمام وهي مغطاة العينين، وهو ما يصدق على كثير من أبناء قومنا، إنهم يعتقدون أن في حياتهم الدائبة على نظام خاص وضمن محيط خاص وعدم المبالاة بكل ما هو خارج عنها كل ما يمكن أن يحصل عليه المرء من سعادة وهناءة في هذه الحياة.

فإلى متى سنظل في هذه الحال؟

وما اليوم الذي سنصلح فيه من ذات أنفسنا فنعمرها بحب الواجب والتفكير به وشغل الوقت بأدائه؟ ومتى يعود للوقت في نفوسنا قيمة وللزمان اعتبار؟ ومتى نعلم أن العمر قصير وأن أمده لا يكفي لأداء ما تتطلبه الأجيال المقبلة منا فضلا عن أن ننقص منه بالتضييع والإهمال؟

يجب أن نسأل أنفسنا في كل صباح: ماذا سنفعله اليوم؟ ثم نمضي وكل همنا في فراشنا ويجب أن نلقي نظرة على ماذا فعلنا مستعرضين أعمالنا اليومية محاسبين أنفسنا على كل ما يمكن ان يكون قد صدر من تقصير أو تفريط متسائلين: ماذا فعلناه اليوم؟

إن التفكير بالواجب هو المنهج الوحيد لتكوين الشخصية المستقلة التي تعيش للمجموع وتحيا لخدمة الأمة[1].

---

(١) كتاب النقد الذاتي - علاء الفاسي، ص٤١ - ٤٥ بتصرف بسيط.

النفس ..... وأسماؤها .... وقواها الأربع

ما عرفت من تجرد النفس إنما هو التجرد في الذات دون الفعل لافتقارها فعلاً إلى الجسم والآلة، فحدها: أنها جوهر ملكوتي يستخدم البدن في حاجاته، وهو حقيقة الإنسان وذاته والأعضاء والقوى آلاته التي يتوقف فعله عليها، وله أسماء مختلفة بحسب اختلاف الاعتبارات، فيسمى (روحاً) لتوقف حياة البدن عليه (وعقلاً) لإدراكه المعقولات و(قلباً) لتقلبه في الخواطر، وقد تستعمل هذه الألفاظ في معان أخرى تعرف بالقرائن.

وله قوى أربع: قوة عقلية ملكية، وقوة غضبية سبعية، وقوة شهوية بهيمية، وقوة وهمية شيطانية. و(الأولى) شأنها إدراك حقائق الأمور، والتمييز بين الخيرات والشرور، والأمر بالأفعال الجميلة، والنهي عن الصفات الذميمة. و(الثانية) موجبة لصدور أفعال السباع من الغضب والبغضاء والتوثب على الناس بأنواع الأذى. و(الثالثة) لا يصدر عنها إلا أفعال البهائم من عبودية الفرج والبطن، والحرص على الجماع والأكل. و(الرابعة) شأنها استنباط وجوه المكر والحيل، والتوصل إلى الأغراض بالتلبيس والخدع.

والفائدة في وجود القوة الشهوية بقاء البدن الذي هو آية تحصيل كمال النفس، وفي وجود الغضبية أن يكسر سورة الشهوية والشيطانية، ويقهرهما عند انغمارهما في الخداع والشهوات، وإصرارهما عليهما، لأنهما لتمردهما لا تطيعان العاقلة بسهولة، بخلاف الغضبية فانها تطيعها وتتأدبان بسهولة.

ولذا قال أفلاطون في صفة السبعية والبهيمية: (أما هذه أي السبعية فهي بمنزلة الذهب في اللين والانعطاف، وأما تلك أي البهيمية فهي بمنزلة الحديد في الكثافة والامتناع) وقال أيضاً: (ما أصعب أن يصير الخائض في الشهوات فاضلاً، فمن لا تطيعه الواهمة والشهوية في إيثار الوسط فليستعن بالقوة الغضبية المهيجة للغيرة، والحمية حتى يقهرهما) فلو لم يمتثلا مع الاستعانة فإن لم تحصل له ندامة بعد ارتكاب مقتضاهما دل على غلبتهما على العاقلة ومقهوريتها عنهما، وحينئذ لا يرجى صلاحه، وإلا فالإصلاح ممكن فليجتهد فيه ولا ييأس من روح الله، فإن سبل الخيرات مفتوحة، وأبواب الرحمة الإلهية غير مسدودة. (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)(١).

والفائدة في القوة الوهمية إدراك المعاني الجزئية، واستنباط الحيل والدقائق التي يتوصل بها إلى المقاصد الصحيحة.

وبيان ذلك أن الواهمة والخيال والمتخيلة ثلاث قوى متباينة، ومباينة للقوى الثلاث الأول، وشأن الأولى إدراك المعاني الجزئية، وشأن الثانية إدراك الصور، وشأن الثالثة التركيب والتفصيل بينهما. وكل من مدركاتها إما مطابق للواقع، أو مخترع من عند أنفسها من غير تحقق له في نفس الأمر أيضاً، وإما من مقتضيات العقل والشريعة، ومن الوسائل إلى المقاصد الصحيحة، أو من دواعي الشيطان وما يقتضيه الغضب والشهوة، وعلى الأول يكون وجودها خيراً وكمالاً، وإن كان وجودها على الثاني شراً وفساداً. والحال في جميع القوى كذلك.

هذا وقيل: ما ورد في القرآن من النفس المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء، إشارة إلى القوى الثلاث أعني العاقلة والسبعية والبهيمية.

والحق أنها أوصاف ثلاثة للنفس بحسب اختلاف أحوالها، فإذا غلبت قوتها العاقلة على الثلاث الأخر، وصارت منقادة لها مقهورة منها، وزال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سميت (مطمئنة)، لسكونها حينئذ تحت الأوامر والنواهي، وميلها إلى ملائماتها التي تقتضي جبلتها، وإذا لم تتم غلبتها وكان بينها تنازع وتدافع، وكلما صارت مغلوبة عنها بارتكاب المعاصي حصلت للنفس لوم وندامة سميت (أمارة بالسوء) لأنه لما اضمحلت قوتها العاقلة واذعنت للقوى الشيطانية من دون مدافعة، فكأنها هي الآمرة بالسوء.

ثم مثل اجتماع هذه القوى في الإنسان كمثل اجتماع ملك، أو حكيم وكلب وخنزير وشيطان في مربط واحد، وكان بينها منازعة، وأيها صار غالباً كان الحكم له، ولم يظهر من الأفعال والصفات إلا ما تقتضيه جبلته فكان إهاب الإنسان وعاء اجتمعت فيه هذه الأربع، فالملك أو الحكيم هو القوة العاقلة، والكلب هو القوة الغضبية، فإن الكلب ليس كلباً ومذموماً للونه وصورته بل لروح معنى الكلبية والسبعية أعني الضراوة والتكلب على

الناس بالعقر والجرح، والقوة الغضبية موجبة لذلك، فمن غلب فيه هذه القوة هو الكلب حقيقة، وإن أطلق عليه اسم الإنسان مجازاً، والخنزير هو القوة الشهوية، والشيطان هو القوة الوهمية، والتقريب فيهما كما ذكر، والنفس لا تزال محل تنازع هذه القوى وتدافعها إلى أن يغلب احداها، فالغضبية تدعوه إلى الظلم والإيذاء، والعداوة والبغضاء، والبهيمية تدعوه إلى المنكر والفواحش، والحرص على المآكل والمناكح، والشيطانية تهيج غضب السبعية وشهوة البهيمية، وتزيد[٢] فعلهما، وتغري إحداهما بالأخرى والعقل شأنه أن يدفع غيظ السبعية بتسليط الشهوية عليها، ويكسر سورة الشهوية بتسليط السبعية عليها، ويرد كيد الشيطان ومكره بالكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة، ونورانيته الباهرة، فإن غلب على الكل يجعلها مقهورة تحت سياسته غير مقدمة على فعل إلا بإشارته جرى الكل على المنهج الوسط، وظهر العدل في مملكة البدن، وإن لم يغلب عليها وعجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال الكلب في العقر والإيذاء، والخنزير في المنكر والفحشاء، والشيطان في استنباط الحيل، وتدقيق الفكر في وجوه المكر والخدع، ليرضي الكلب ويشبع الخنزير، فلا يزال في عبادة كلب عقور أو خنزير هلوع أو شيطان عنود، فتدركه الهلاكة الأبدية، والشقاوة السرمدية، إن لم تغثه العناية الإلهية، والرحمة الأزلية.

وقد يمثل اجتماع هذه القوى في الانسان براكب بهيمة طالب للصيد يكون معه كلب وعين من قطاع الطريق، فالراكب هو العقل، والبهيمة هي الشهوة، والكلب هو الغضب، والعين هي القوة الوهمية التي هي من جواسيس الشيطان، فإن كان الكل تحت سياسة الراكب فعل ما يصلح للكل ونال ما بصدده، ولو كانت الغلبة والحكم للبهيمة أو الكلب لهلك الراكب بذهابه معهما فيما لا يصلح له من التلال والوهاد، واقتحامه في موارد الهلكات، ولو كان الكل تحت نهي العين وأمره، وافتتنوا بخدعه ومكره لأضلهم بتلبيسه عن سواء السبيل حتى يوصلهم إلى أيدي السارقين.

وكذلك لو كانت القوى بأسرها تحت إشارة العقل وقهرها وغلب عليها وقعت لانقيادها له المسالمة والممازجة بين الكل، وصار الجميع كالواحد لأن المؤثر والمدبر حينئذ ليس إلا قوة واحدة تستعمل كلاً منها في المواضع اللائقة والأوقات المناسبة، فيصدر عن كل منها ما خلق لأجله، على ما ينبغي من القدر والوقت والكيفية، فتصلح النفس وقواها. ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[٣].

ولو لم يغلب العقل حصل التدافع والتجاذب بينه وبين سائر القوى، ويتزايد ذلك إلى أن يؤدي إلى انحلال الآلة والقوة لو يصير العقل مغلوباً فتهلك النفس وقواها. ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٤].

(تتميم) لما تبين أن للنفس أربع قوى متخالفة، ولها قوى أخرى أيضاً كما تبين في العلم الطبيعي، فبحسب غلبة بعض هذه القوى على بعض يحصل في النفس اختلاف عظيم، والاختلاف في النفوس إنما هو باختلاف صفاتها الحاصلة من غلبة بعض قواها المتخالفة. إذ هي في بدو فطرتها خالية عن جميع الأخلاق والملكات، وليس لها فعلية، بل هي محض القوة، ولذا ليس لها قوام بذاتها وإنما تتقوم بالبدن، ثم بتوسط قواها تكتسب العلوم والأخلاق، وترتسم بالصور والأعمال إلى أن تتقوم بها، وتصل إلى ما خلقت لأجله.

ولما كانت قواها متخالفة متنازعة فما لم يغلب احداها لم تدخل النفس في عالمه[٥] الذي يخصه فلا تزال من تنازعها معركة للآثار المختلفة والأحكام المتباينة إلى أن يغلب احداها فتظهر في النفس آثاره ويدخل في عالمه الخاص.

ولما كانت القوة العاقلة من سنخ الملائكة، والواهمة من حزب الأبالسة والغضبية من أفق السباع، والشهوية من عالم البهائم، فبحسب غلبة واحدة منه تكون النفس إما ملكاً أو شيطاناً أو كلباً أو خنزيراً، فلو كانت الغلبة والسلطنة لقهرمان العقل ظهر في مملكة النفس أحكامه وآثاره، وانتظمت أحوالها، ولو كانت لغيره من القوى ظهر فيها آثاره فتهلك النفس ويختل معاشها ومعادها.

ثم المنشأ للتنازع والتجاذب والبقاء في نفس الانسانية إنما هو قوتها العقلية لأن التدافع إنما بينها وبين سائر القوى، فليس في نفوس سائر الحيوانات لفقدانها العاقلة تنازع وتجاذب وإن اختلف في غلبة ما فيها من القوى، فإن الغلبة في الشياطين للواهمة، وفي السباع للغضب، وفي البهائم للشهوة، وأما الملائكة فتنحصر قوتها بالعاقلة فليس فيها سائر القوى فلا يتحقق فيها تدافع وتنازع. فالجامع لعوالم الكل هو الإنسان وهو المخصوص من بين المخلوقات بالصفات المتقابلة، ولذلك صار مظهراً للأسماء المتقابلة الإلهية، وقابلاً للخلافة الربانية، وقائماً بعمارة عالمي الصورة والمعنى.

والملائكة وإن كانوا مخصوصين بالجنة الروحانية ولوازمها من الاشراقات العلمية، وتوابعها من اللذات العقلية، إلا أنه ليس لهم جهة جسمانية ولوازمها. والأجسام الفلكية وإن كانت لها نفوس ناطقة على قواعد الحكمة إلا أنها خالية عن الطبائع المختلفة، والكيفيات المتباينة، وليس لها في المدارج المتخالفة، والمراتب المتفاوتة، ولا تقلب في أطوار النقص والكمال، ولا تحول في جميع التقاليب والأحوال، بخلاف الإنسان فإنه محيط بجميع المراتب المختلفة، وسائر في الأطوار المتباينة من الجمادية والنباتية والحيوانية والملكية، وله الترقي عن جميع تلك المراتب بأن تتحقق له مرتبة مشاهدة الوحدة الصرفية فيتجاوز عن افق الملائكة، فهو النسخة الجامعة لحقائق الملك والملكوت، والمعجون المركب من عالمي الأمر والخلق قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله خص الملك بالعقل دون الشهوة والغضب، وخص الحيوانات بهما دونه وشرّف الإنسان بإعطاء الجميع فإن انقادت شهوته وغضبه لعقله صار أفضل من الملائكة لوصوله إلى هذه المرتبة مع وجود المنازع والملائكة ليس لهم مزاحم»[٦].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) وفي نسختنا الخطية هكذا «تزين».

(٣) سورة الشمس، الآية: ٩.

(٤) سورة الشمس، الآية: ١٠.

(٥) في نسختنا الخطية هكذا «في علله التي تخصها».

(٦) جامع السعادات، النراقي: ج١، ص٤١ ـ ٤٥.

هل ينسجم العدل الإلهي مع وجود البلايا والمصائب والشرور في هذا العالم؟

ان البحث حول موضوع المصائب والشرور والبلايا وكيفية تفسيرها تفسيرا مقبولا قد شغلت ذهن البشرية منذ القدم، وهو بحث مهم وخطر في نفس الوقت، فقد حدا ببعض الفرق الدينية قديما إلى الاعتقاد بوجود الهين مدبرين في هذا الكون احدهما اله الخير المسؤول عن إيجاد كل ما يوصف بكونه خيرا وهنالك اله ثانٍ هو اله الشر مسؤول عن إيجاد تلك الفوضى والخراب والدمار الذي يعصف بالأرض ومن عليها بين الحين والآخر، وقد بقيت للآن فرقة من الناس تعتقد بهذا الاعتقاد الباطل.

وقد تعرض لبحث هذه المسألة أرسطو وهيوم وقد افرد لها صدر المتألهين الشيرازي ثمانية فصول في كتابه الأسفار الأربعة، كما وأخذت مجالا واسعا في كتابات العلماء المعاصرين وتآليفهم، فلا يكاد كتاب عقائدي يستعرض أصول الدين الخمسة إلا ويجعل لبحث الشرور والبلايا نصيبا معلوما، وهذا الاهتمام القديم الجديد من قبل علماء الشرق والغرب يؤكد لنا على أهمية هذا الموضوع وفائدته، لذلك قررنا التعرض له في هذا العدد على عجالة تاركين التفصيل للكتب المطولة.

تحرير محل الإشكال في مسألة الشرور والبلايا والمصائب

ان مركز الإشكال يتمحور حول التوفيق ما بين العدل الإلهي الذي ثبت فيما سبق بانه صفة من الصفات الإلهية التي حكم بوجوب وجودها كل من العقل والنقل، وما بين وقوع هذه حوادث كونية تتنافى بظاهرها مع العدل والحكمة الإلهية.

وبعبارة ثانية: إذا كان الكون كما قد أثبتنا ذلك في الأعداد السابقة منظما ويجري في نسق واحد مرتب لا شذوذ فيه ولا عبث فكيف نفسر

وقـوع ظاهرة الزلازل مثلا والبراكين والسـيول والأمراض والبلايا التي تحدق بالبشـرية مابـين الحين والآخر؟ أليس في وقـــوع هذه الأمور خروج عن النظام وتمرد على ما أسميناه بـالنظام الحكيم والعـادل الـذي يحكـم جميـع أجـزاء الكون؟.

وبعبارة ثالثة : إذا كان الخالق عادلا وقـائما بالقسـط فكيف يجتمع عدله سبحـانه مع هذه الحوادث التي تبتلع النفوس البريئة في آن واحد، وتخرب الديار وتدمرها؟.

التوفيق ما بين العدل الإلهي وبـين الشرور والبلايا والمصائب

ان ما يظنه البـــعض من وقـــوع التنافي والتعارض فيما بين النظام الكوني الإلهي العادل وما بين تلك الحوادث الجزئية الواقعة هنا وهناك هو محض قصور في التصور وعدم دقة في النظر، ولو ان هؤلاء نظروا إلى هذه الحوادث لا بشكل مستقـل وجزئي ومحدود، بـل في إطار النظام الكوني العام فلو نظروا إلى هذه المســألة بهذه النظرة لأذعنوا بأنها خير برمتها.

ثم ان النظرة الضيقـة إلى الظواهر في وصف الظواهر المذكورة بـأنها شـاذة عن النظام، وأنها شـرور لا تجتمع مع النظام السـائد على العالم أولا، وحـكمته سبحـانه بـالمعنى الأعم ثانيا، وعدله وقسطه ثالثا، ينبع من نظرة الإنسان إلى الكون من خلال نفســه، ومصالحها، وجعلها محورا وملاكا لتقييم هذه الأمور.

فعندما ينظر إلى الحوادث ويرى أنها تعود على شـخصه وذويه بـالإضرار، ينبري من فوره إلى وصفها بالشـرور والآفات. وما هذا إلا لأنه يتوجه إلى هـذه الظواهـر مـن منظـار خـاص ويتجاهل غير نفسـه في العالم، من غير فرق بـين من مضى من غابر الزمان ومن يعيش في الحاضر في مناطق العالم أو سوف يأتي ويعيش فيها. ففي النظرة الأولى تتجلى تلك الحوادث شرا وبلية. ولكن هذه الحوادث في الوقت نفسه وبنظرة ثانية تنقلب إلى الخير والصلاح وتكتسي خلع الحكمة والعدل والنظم.

ولبيان ذلك نحلل هذه الشرور والبلايا بمثال يقرب لنا الفكرة بشكل واضح فنقول :

إن الإنسان يرى أن الطوفان الجارف يكتسح مزرعته، والسـيل العارم يهدم منزله، والزلزلة الشديدة تزعزع بنيانه، ولكنه لا يرى ما تنطوي عليه هذه الحوادث والظواهر من نتائج إيجابية في مجالات أخرى من الحياة البشـرية. وما أشبـه الإنسان في مثل هذه الرؤية المحدودة بعابر سبيل يرى جرافة تحفر الأرض، أو تهدم بـــناء محدثة ضوضاء شديدة ومثيرة الغبار والتراب في الهواء، فيقضي من فوره بـأنه عمل ضار وسيئ وهو لا يدري بـأن ذلك يتم تمهيدا لبناء مستشفى كبـير يستقبـــل المرضى ويعالج المصابـــين ويهيئ للمحـــتاجين إلى العلاج وســائل المعالجة والتمريض. ولو وقـــف على تلك الأهداف النبـيلة لقـضى بـغير ما قـضى، ولوصف ذلك التهديم بـأنه خير، وأنه لا ضير فيما حـصل من الضوضاء وتصاعد من الأتربـــة. إن مثل هذا الإنسـان المحدود النظر في تقـييمه، مثل الخفاش الذي يؤذيه النور لأنه يقبض بصره، بينما يبسط هـذا النور ملايـين العيون علـى آفـاق الكـون

ويســهل للإنســان مجالات السـعي والحياة. أفيكون قضاء الخفاش على النور بأنه شر ملاكا لتقـييم هذه الظواهر الطبـيعية المفيدة؟ بالطبـع كلا.

ان مسألة الشرور في العالم هي مسألة نسبية وليست بمطلقة

إن الشـر أمر قياسـي ليس له وجود نفسـي وإنما يتجلى عند النفس إذا قيس بـعض الحوادث إلى بــعض آخر، فالعقـرب بما هو ليس فيه أي شـر، وإنما يتصف إذا قـيس إلى الإنسـان الذي يتأذى من لسعته، وإلا فان نفس هذه العقـرب بالنسـبة إلى بـني جنسـها هي محض الخير، وهي بالنسبة للشـجرة مثلا وبقية الجمادات ليس فيها خير أو شـر، فيتبـين من هذا المثال ان ليس للشر واقعية في صفحـة الوجود، بـل هو أمر انتزاعي تنتقل إليه النفس من حيث المقايسـة، ولولاها لما كان للشر مفهوم وحقيقة، ويمكن لشـيء واحـد ان يكون شرا بالنسبـة إلى موجود معين لكنه خير محض بالنسبة لموجود آخر.

إلى هنا نســتطيع ان نخرج بــنتيجة مهمة وهي :

١. النظرة إلى الأشــــياء من منظر الأنانية وتناسي سائر الموجودات هي التي تجعل الإنسان يعتقـد بـوجود التعارض فيما بـين العدل الإلهي وبين بعض الظواهر الطبيعية.

٢. ان مسألة الشر أمر عدمي لا تحقق عيني له في الخارج بـــل هو من المفاهيم والحقــائق الإضافية فبــعض الحوادث فيما لو تم إضافتها ومقايستها بأشياء أخرى يتوهم حـصول الشر بـينما لو قيسـت إلى أشـياء أخرى كانت خيرا محضا.

وسـيأتي ان شـاء الله بحث مسـألة البـلايا والمصائب والأمراض من حيث تأثيرها الايجابي على تربية الإنسان وتكامله المادي والمعنوي.

صفوان بن يحيى بياع السابري

اسمه ووثاقته

هو صفوان بن يحيى أبو محمد البجلي الكوفي الملقب ببياع السابري، والسابري كما في كتب اللغة هو: (نوع من أنواع الثياب رقيق وهو من أجود أنواع الثياب) وقد مدح في كتب الرجال بأعلى درجات التوثيق والمدح فقال عنه الشيخ النجاشي قدس الله روحه: (صفوان بن يحيى أبو محمد البجلي بياع السابري، كوفي، ثقة ثقة، عين) «راجع رجال النجاشي ص ١٩٧».

وقال الشيخ الطوسي قدس الله روحه: (صفوان بن يحيى، وكيل الرضا عليه السلام، ثقة) «راجع رجال الطوسي ص ٣٣٨».

وقال العلامة الحلي قدس الله روحه: (صفوان بن يحيى، أبو محمد البجلي، مولى بني بجيلة، بياع السابري، كوفي. قال الشيخ الطوسي رحمه الله: انه أوثق أهل زمانه عند أصحاب الحديث وغيرهم). «راجع خلاصة الأقوال للعلامة الحلي ص ١٧٠».

ثناء الأئمة عليه ومدحهم إياه

عن معمر بن خلاد قال: (رفعت ما خرج من غلة إسماعيل بن الخطاب، مما أوصى به إلى صفوان ابن يحيى، فقال: رحم الله إسماعيل بن الخطاب، ورحم الله صفوان، فإنهما من حزب آبائي، ومن كان من حزبنا أدخله الله الجنة، ومات صفوان بن يحيى في سنة عشر ومائتين بالمدينة، وبعث إليه أبو جعفر (عليه السلام) بحنوطه وكفنه، وأمر إسماعيل بن موسى بالصلاة عليه).

وعن علي بن الحسين بن داود القمي قال: (سمعت أبا جعفر الثاني عليه السلام يذكر صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان بخير، وقال: رضي الله عنهما برضاي عنهما لا خالفاني قط).

وعن أبي طالب عبد الله بن الصلت القمي قال: (دخلت على أبي جعفر الثاني (عليه السلام) في آخر عمره فسمعته يقول: جزى الله صفوان ابن يحيى، ومحمد بن سنان، وزكريا بن آدم، عني خيرا، فقد وفوا لي، ولم يذكر سعد بن سعد، قال: فخرجت فلقيت موفقا، فقلت له: إن مولاي ذكر صفوان ومحمد بن سنان وزكريا بن آدم، وجزاهم خيرا، ولم يذكر سعد بن سعد، قال: فعدت إليه، فقال: جزى الله صفوان بن يحيى، ومحمد بن سنان، وزكريا بن آدم، وسعد بن سعد، عني خيرا، فقد وفوا لي).

وعن معمر بن خلاد قال: (قال أبو الحسن عليه السلام: ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأضر في دين مسلم من حب الرياسة، ثم قال: لكن صفوان لا يحب الرياسة).

وعن علي بن الحسين، بن داود القمي قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يذكر صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان بخير، وقال رضي الله عنهما برضاي عنهما، فما خالفا أبي عليه السلام قط).

كان من اعلم أصحاب الأئمة عليهم السلام بالفقه

قال الشيخ الطوسي قدس الله روحه: (أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم وأقروا لهم بالفقه والعلم: وهم ستة نفر آخر دون الستة نفر الذين ذكرناهم في أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، منهم يونس ابن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى بياع السابري، ومحمد بن أبي عمير...وأفقه هؤلاء يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى). «راجع اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٣٠ ـ ٨٣١».

وكان محمد بن سنان يقول: (من كان يريد المعضلات فإلي، ومن أراد الحلال والحرام فعليه بالشيخ، يعني صفوان بن يحيى).

قصته مع أصحابه الذين ماتوا قبله

قال الشيخ النجاشي قدس الله روحه متحدثا عن قصة صفوان بن يحيى مع صاحبيه علي بن النعمان وعبد الله بن جندب: (وكان شريكا لعبد الله بن جندب وعلي بن النعمان. وروى أنهم تعاقدوا في بيت الله الحرام أنه من مات منهم صلى من بقي صلاته وصام عنه صيامه وزكى عنه زكاته. فماتا وبقي صفوان، فكان يصلي في كل يوم مائة وخمسين ركعة، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر ويزكي زكاته ثلاث دفعات، وكل ما يتبرع به عن نفسه مما عدا ما ذكرناه يتبرع، عنهما مثله).

«راجع رجال النجاشي ص ١٩٧».

ألف ثلاثين كتابا في الفقه

وقال الشيخ النجاشي قدس الله روحه: (وصنف ثلاثين كتابا، كما ذكر أصحابنا. يعرف منها الآن: كتاب الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الصوم، كتاب الحج، كتاب الزكاة، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، كتاب الفرائض، كتاب الوصايا، كتاب الشراء والبيع، كتاب العتق والتدبير، كتاب البشارات نوادر. أخبرنا علي بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن الحسن عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الزيات، عن صفوان بسائر كتبه. مات صفوان بن يحيى رحمه الله سنة عشر ومائتين) «المصدر السابق ص١٩٨».

مواعظ البهلول[١]

اعلم أن بهلولاً هو وهب بن عمرو الكوفي، المشتهر بالبهلول، كان رجلاً تقياً ورعاً زاهداً عالماً فقيهاً محدثاً، ذا أدب ومعرفة وتشيع، استفاد من قدسي الإمامين الهمامين: الصادق والكاظم صلوات الله عليهما، وله حكايات ومناظرات لطيفة في الفقه والكلام مع أبي حنيفة، وغيره من مشاهير زمانه، وإنه كان يتستر بجنة التجنن تقية وحقناً لدمه، وله شعر رائق ومنه قوله في العظة والأحوال بأحوال الموتى وأهل القبور:

تناديك أجداث[٢] وهن صموت
وأربابها تحت التراب خفوت[٣]
فيا جامع الدنيا حريصاً لغيره
لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

ومن شعره إذ رماه الصبيان بالحصا فأدمته حصاة:

حسبي الله توكلت عليه
من نواصي[٤] الخلق طراً بيديه
ليس للهارب في مهربه[٥]
أبداً من راحة إلا إليه
رب رام لي بأحجار الردى
لم أجد بداً من العطف عليه

فقيل له: يا بهلول تعطف عليهم، وهم يرمونك بالأحجار؟

فقال: أمسكت لعل الله يطلع على غمي، ووجعي، وفرح هؤلاء الصبيان فيسره فيهب بعضنا من بعض.

ومن مكارم أخلاقه: أنه اجتمع عليه الصبيان ذات يوم، ونهبوا ما كان عليه وجعلوا يرمونه بالأحجار، فهرب منهم وتحصّن في مسجد كان هناك، وأغلق عليهم الباب وصعد على السطح حتى أشرف عليهم منه وجعل يقرأ قوله تعالى: «فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ»[٦]، فلما رأى محمد بن سليمان ذلك أمر بتفرقة الأطفال عنه وقال: «لا إله إلا الله» لقد رزق علي بن أبي طالب عليه السلام لب كل ذي لب.

ومنها: أنه اجتمع عليه ذات يوم عدة من الصبيان، وجعلوا يرمونه ويضربونه فقال له رجل: ألا تشكوهم إلى آبائهم؟

فقال: أسكت، فلعلي إذا مت يذكرون هذا الفرح، فيقولون: رحم الله ذلك المجنون.

وقد حكي: أن هارون الرشيد أرسل بشرطة طعاماً إلى البهلول.

فقال: من أين هذا؟

فقال: من هارون.

فقال: لا حاجة لي إلى طعامه.

فقال: لم؟

فقال: مهلاً مهلاً[٧]، لو فهمت الكلاب الهراش[٨] ذلك لما أكلته.

وقد وردت كلمات عن بعض الظرفاء لا تخلو عن فائدة:

منها: قال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: يا أبا حازم، إني أخاف الله مما قد دخلت فيه.

فقال أبو حازم له: لست أخاف عليك أن تخاف، وإنما أخاف عليك ألا تخاف.

ومن كلام أبي حازم: عجباً لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة، ويتركون أن يعملوا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة.

ومن كلامه: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى نموت.

ولما ثقل[٩] عبد الملك رأى غسالاً يلوي بيده ثوباً، فقال: وددت أني كنت غسالاً مثل هذا أعيش بما أكتسب يوماً فيوماً، فذكر ذلك لأبي حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه.

وقال عامر بن عبد القيس: كل من في الدنيا يجري إلى ما لا يدري، وكل مستقر فيها غير راض بها، وذلك شهيد على أنها ليست بدار قرار[١٠].

١ـ تفسير البصائر: ٣١: ٢٦٥.
٢ـ أي القبر. (المنجد في اللغة: ٨١، مادة جدث).
٣ـ خفوت الصوت: سكن. (المنجد في اللغة: ١٨٨، مادة خفت).
٤ـ أشرافهم. (المنجد في اللغة: ٨١٣، مادة نضو).
٥ـ مهربه: فراره. (المنجد في اللغة: ٨٦١، مادة هرب).
٦ـ سورة الحديد، الآية: ١٣.
٧ـ مهلاً في فعله ـ مهلاً تناوله برفق ولم يعجل. (المنجد في اللغة: ٧٧٨، مادة مهل).
٨ـ الهراش: تحرش بين الكلاب بعضها على بعض، وتواثب. (المنجد في اللغة: ٨٦٢، مادة هرش).
٩ـ أي رزن وثبت.
١٠ـ عبر من التاريخ ـ الشيخ باقر المحسني: ج١، ص٢٣٨ ـ ٢٤١.

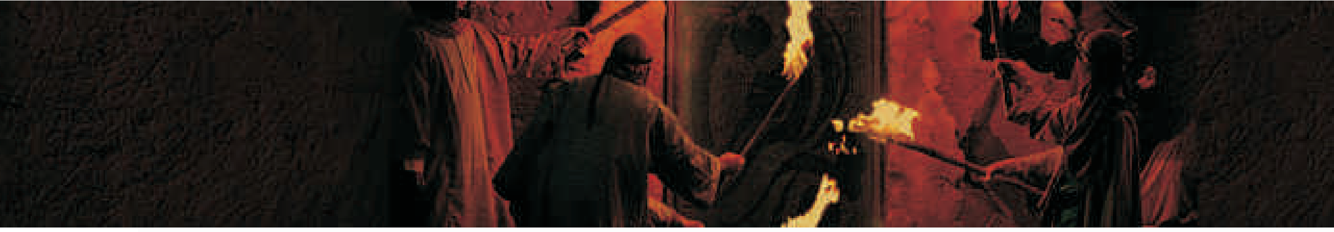

سلوك الطفل بين السلب والإيجاب

١ ـ كيف ينمو السلوك؟

كثيراً ما يتبادر هذا التساؤل إلى الأذهان، فالسلوك نمط وشكل شأنه شأن النمو الجسدي، وبالرغم من أن سلوك الطفل يتأثر بالمحيط، أي بيئة الطفل، إلا أن سلوكه يخضع أيضاً لتغيرات تحدث في سلوك الطفل من الداخل.

ودور الأهل ليس دور المتفرج، إنما عليهم تأمين البيئة الحسنة لطفلهم، وتأمين البيئة الحسنة للطفل يتوقف على مدى وعي الوالدين بالطفل وفهمهم له.

ومعرفة الأهل بمراحل نمو السلوك الإنساني «سلوك الأكل، النوم، الكلام، المشي،...» تساعدهم في معرفة أو تنبؤ سلوك الطفل من حيث زمن ظهور السلوك وشكله وطبيعته، ويوفر على الأهل أي قلق تجاه تطورات سلوك طفلهم، لأنهم يعرفون تماماً متى وكيف يظهر أي شكل من أشكال السلوك عند الطفل.

ومرحلة تطور السلوك الإنساني الطبيعي واحدة عند الأطفال، إلا أن هنالك اختلافات بسيطة يمكن أن نعزوها إلى الفروق الفردية بين الأطفال.

ونمو السلوك أكثر تعقيداً من نمو الجسد، فالجسد سينمو مع العمر لكن لا نضمن أن ينمو السلوك ويتحسن بمفرده، ولكنه ربما يميل إلى التحسن ولكن ليس بشكل ثابت ومستمر، إنه لا يتقدم بثبات دون رجوع، وكل مستوى عمري يميل إلى أن يجلب معه محاسنه ومساوئه.

وأي تغيرات تطرأ على سلوك الطفل عادة تكون نظامية ونمطية مع بعض الاستثناءات بالطبع.

وقد يتوازن سلوك الطفل في مرحلة ما، ثم يسوء سلوكه بصورة مفاجئة، وقد لا يكون السبب بالضرورة شيئاً ما في محيط أصيب بالخلل، أو أنه سيئ بطبيعته، بل قد يكون مجرد مرحلة من عدم التوازن قد أعقبت مرحلة سابقة من حسن التوازن.

٢ ـ السلوك الجيد والسلوك السيئ

إن السلوك الجيد والسلوك السيّئ يميلان إلى التناوب بتقدم العمر، وعلى شكل نظامي متتال، وثمة تناوب متناسق ثان. إن السلوك المركز، كما يمكن أن يسمى، يكون متبوعاً بسلوك مشتت، والمثال الوحيد على السلوك المركز يلاحظ عند ابن الخامسة المتوسط، الذي يميل إلى معانقة أنوثة أمه، ويتبعها كظلها حيثما ذهبت، أما ابن السادسة فيمر في مرحلة التشتت، إنه يجوب المناطق المجاورة لبيته الذي لا يلازمه إطلاقاً، إنه متأهب لارتياد الأماكن الجديدة، وملاقاة الأشخاص الجدد والخبرات الجديدة.

ومن المهم أن يساعد النمو الفرد على عدم التطرف، وعلى أن يبتعد عن النهايات، والأهل يفضلون المراحل التي يكون فيها الطفل متزناً. ولكن لابد من الصبر إذا كان عكس ذلك، وتراوح الطفل بين الاتزان وعكسه هي الدلائل على نمو سلوكه. وغالباً ما يعمل الأهل على محاولة التخفيف من سلوك الطفل السيئ، ولكن الوعي التربوي عند الأهل يمنحهم الصبر والدقة في التربية، وقبول التطرف والكف عن اللوم لمحيطه بأنه السبب في تطرفه، إن نظرة كهذه تجعل نظرة الأهل لسلوك الطفل أكثر واقعية.

٣ـ تجربة الأم في تربية طفلها الأول

الطفل بهجة الحياة... ضحكته المغردة تدخل السرور إلى قلوبنا... يا له من شعور جميل نعجز عن وصفه.... نعم نعجز عن وصف مشاعرنا وفرحتنا عندما يولد طفلنا الأول... إنه شعور بالمسؤولية... شعور بالأمومة... يمتزج الارتباك مع الفرحة، وتمتزج الفرحة مع الدهشة، وتظهر الرغبة الأكيدة في تحمل المسؤولية كاملة... ولهذا فهناك حسنات وسيئات في أسلوب معاملتنا لهذا الطفل، وهناك حسنات وسيئات لوضعه كطفل أول في أسرة جديدة.

إن الطفل كائن عزيز للغاية... ومزعج في الوقت نفسه...

ولا نعرف كيف نعامله وخاصة إذا كان أول طفل لنا، فكم من أم بادرت إلى شراء الكتب التي تدور حول تربية الأطفال لتتعرف إلى أسرار الطفولة، ولتجد الأسلوب الأمثل لتتعامل به مع طفلها. وكم من مرة رفعت سماعة الهاتف لتسأل الطبيب أسئلة غير هامة في حد ذاتها، ولكنها توقعها في حيرة كبيرة. إن تجربة الأمومة ليست بالتجربة السهلة، وكم تعاني الأم من التوتر في بدايات هذه التجربة... وتحاول الأم أن ترعى طفلها رعاية كاملة... لكن الثقة بالنفس تكون غائبة... وترغب الأم أن تقوم بعملها الجديد على أكمل وجه، لذلك نراها تتأرجح بين الخوف والرغبة في تأكيد الذات، تماماً كما يتعلم الإنسان ركوب الخيل أول مرة... الأعصاب مشدودة خوفاً من السقوط... والطفل قادر على التقاط مشاعرنا تماماً، فإذا شعرت الأم بأنها غير مطمئنة، فإن عدم الاطمئنان ينتقل إلى الطفل، وهناك بعض الأمهات تمر بهن نوبات من الشك خصوصاً في مسألة قدرة الواحدة منهن على تربية طفلها... فالأمومة تجربة جديدة لا تعرف عنها الأم أي شيء، وهي متأكدة أن جهلها بهذا الأمر سينكشف فوراً. وبهذا نجد الأم في بداية تجربتها كأم تملك مشاعر متناقضة، فيتولد عندها صراع يدور بين الحب الجديد والخوف من عدم القيام الكامل بالمسؤولية.

٤ـ الأسلوب الأسهل والأفضل في تربية الطفل

إن الأسلوب الأسهل للنجاح في تربية الطفل هو أن تكون الأم قد عاشت طفولة سعيدة مع والدين يحيطان أبناءهما بالحب والقدرة على الاتزان والثبات في التربية. وإتقان إعطاء الطفل كل الود مع الحزم، دون أن يستسلم الوالدان للتوتر أو الضيق... ولكن كلنا يعلم أن فرصة وجود هذا النوع من الآباء وخاصة في الزمن القديم فرصة لم تكن كبيرة....

ولو استرجعنا شريط ذكريات العمر لنتعلم من جديد، فإننا نعرف أن كل أم ركبت في يوم ما أمواج الغضب ضد أبويها.. ثم وقعت في الإحساس بالذنب.. ثم جاء الخوف بعد ذلك من أن تفقد الحب في المنزل أو مع الأصدقاء وهناك مشاعر الغيرة التي عانينا منها تجاه إخوتنا... كل هذه الخبرات تراكمت في أعماقنا وأصبحت راسخة في لا شعورنا، وهي لا تظهر من جديد عندما نستقبل الطفل الأول أو أي طفل يتمتع باهتمام خاص عندنا.

إن لمظاهر التوتر والضيق التي تظهر علينا أثراً سلبياً في نفوس أطفالنا. فضيقنا وتوترنا يثير ضيقهم وتوترهم أيضاً وخصوصاً في السنوات الأولى، وبعد ذلك تبدأ هذه المظاهر بالتلاشي. فالطفل عندما يصل إلى مرحلة المراهقة يصبح أكثر قدرة على إدارة أموره بنفسه... وتدل الدراسات على أن كثيراً من الأطفال الذين يحتلون مرتبة الطفل الأول، والذين كانت تخشى أمهاتهم الفشل في تربيتهم أصبحوا أشخاصاً ناجحين متفهمين لظروف الحياة... مقتحمين لمجالات العمل المختلفة. ولو حاولنا أن نفسر هذه المسألة لوجدنا أن الطفل في البداية يكون حساساً... لذلك تقابله بعض الصعوبات في تعامله مع أسرته وأصدقائه. أما عندما ينجح هذا الطفل في الانتصار على هذه الصعوبات، فإنه يكتسب الثقة في نفسه ويتجه إلى الرغبة في التعاون مع الآخرين، وليس المقصود بذلك أن الطفل يجب أن يقابل التعاسة في حياته حتى يتعاون مع الناس، ولكن المقصود أن الطفل الذي يجد قدراً من التعاسة في حياته، يستطيع خلال حياته أن يجد ما يزيل مظاهر التعاسة هذه. ولكن لا يعني هذا أن الطفل الأول قادر على أن ينتصر على عدم التكيف مع البيئة المحيطة به مهما كانت درجة عدم التكيف. وعموماً إن الطفل الذي يعاني من التعاسة في بداية حياته، لا يمكن أن يصل إلى الشعور بالسعادة إلا بمساعدة من حوله، سواء أكانوا آباء أم مدرسين أم متخصصين نفسيين. وهناك ما يزرع التفاؤل في النفس في موضوع الطفل الأول، وهو حرص الوالدين الشديد عليه، ورغبتهما في تقديم كل خير له. هذا الحرص قد يكون غاية في التطرف، وقد يضايق الطفل نفسه، لكنه يؤكد للطفل أهميته بالنسبة للأسرة، ويطالب نفسه بتأكيد هذه الأهمية، فيضع أمامه هدفاً عظيماً يجب أن يحققه في حياته. وبالمقابل يهزم مشاعر الغيرة المنافسة مع أخوته أثناء مرحلة الطفولة، ويحاول أن يعاملهم كأنه والد ثالث لهم. وهذا يدفعه إلى الشعور بالمسؤولية. وهي صفة غالبة على الأطفال الأوائل في الأسر التي استطاعت أن تساعد أبناءها على الانتصار على مشاكل مرحلة الطفولة[1].

---

(١) تربية الطفل مشكلات وحلول، د. سلوى مرتضى: ج١، ص١٨ـ٢٢.

من معاجز الإمام الحسين عليه السلام

قصة شفاء بنت الحاج محمد اليزدي من ورم في عينها على أثر لسعة حشرة أصابتها

يذكر الشيخ الدكتور عبد الرسول الغفاري، هذه الكرامة، نقلاً عن (كشكول شمس) فيقول:

نقل الحاج محمد اليزدي أنه رزق بنتاً من زوجته العلوية ولما أصبحت البنت في السنة الخامسة من عمرها ظهر في عينها سالك (وهو نوع من الأمراض الجلدية التي تترك زوائد وتشوهات جلدية حتى بعد الشفاء منها) على أثر لسعة حشرة وشيئاَ فشيئاً أخذ يكبر حتى ورمت عينها، وخفنا عليها من التلف.

غير أن أم الزوجة أخذت البنت إلى الحرم الحسيني وألصقت البنت بالضريح وقالت لها: ضعي يديك على الضريح وامسحيها ثم ضعي يديك على عينك حتى تشفي.

والطفلة وحسب فطرتها وصفاء نفسها وإخلاصها امتثلت أمر (جدتها) فمسحت عينها بكلتا يديها التي تبركت بهما من الضريح الشريف، وإذا الطفلة رفعت رأسها إلي قائلة: يا جدتي انظري إلى عيني فقد أصبحت جيدة.

ولكن الجدة ولغرض تسلية خاطر البنت قالت لها: إن شاء الله ستكون جيدة ولما رجعوا إلى البيت وذهبوا للنوم فناموا حتى الصباح فلما أصبحوا لم يروا أي أثر للسالك ولا كان في العين ورم، وأصبحت في حالة طبيعية جداً وكأنما لم يكن فيها أي عارض أو مرض. فشكروا الله على هذه النعم.

قصة شفاء بنت أخرى للحاج محمد اليزدي من مرض عضال

وفي كتاب (كرامات ومعجزات) على ما نقله عنه صاحب كتاب (كرامات الإمام الحسين عليه السلام)، قال: وينقل أيضاً الحاج محمد اليزدي حكاية أخرى، فيقول: كانت لي بنت أخرى من زوجتي العلوية وكانت البنت نظيفة وذكية، وفي السنة العاشرة من عمرها مرضت وأجرينا لها عملية جراحية، ومرضها طال علينا فلا هي تتماثل للشفاء ولا هي تموت وترتاح مما كانت تعيشه من آلام، حتى وصل بها الأمر أن فقدت إحساسها وحركتها وبقيت هكذا عدة أيام من غير طعام ولا شراب وقد اضطربت لهذه الحالة فحملتها ليلاً ووضعت رأسها على كتفي وذهبت إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام وكنت في حالة نفسية صعبة. وما أن دخلت الصحن إذ جرت دموعي ولما وصلت الإيوان، وبالقرب من الرواق رأيت سيداً جليلاً جاء من الحرم باتجاهي وقال: حاج محمد لا تبك، فابنتك صارت بخير، ثم وضع يده الشريفة على رأس البنت ووجهها وكذلك مسحها بيده، لكن لشدة انزعاجي ومللي لم ألتفت إلى هذا السيد الجليل، فقد ذهبت إلى الحرم وصرت عند الضريح وأخذت أبكي وأتوسل بالإمام عليه السلام ولما انتهيت من الزيارة والدعاء، حملت البنت وخرجت من الحرم، ولما وصلت إلى نفس ذلك الإيوان الذي رأيت فيه السيد وإذا البنت تنتبه من الإغماء ورفعت رأسها من كتفي وقالت: بابا، فقلت: نعم يا عزيزتي ماذا تريدين؟. قالت: جائعة.

فكانت في جيبي سفرجلة فأعطيتها وقلت لها: كليها حتى تتقوي، فأخذت البنت السفرجلة وشرعت في أكلها، إلى أن وصلنا البيت، استعادت صحتها وحالتها الطبيعية ولم يبق فيها من اثر ذلك المرض شيء يذكر[1].

---

(١) ٧٥٠ قصة من حياة الإمام الحسين عليه السلام: ص٦٢١ ـ ٦٢٣.

انواع الدم

سنة الاكتشاف ١٨٩٧م
ما هذا الاكتشاف؟ يمتلك البشر أنواعاً مختلفة من الدم ليست مطابقة جميعاً لبعض
من المكتشف؟ كارل لاندشتاينر Karl Landsteiner

حقائق طريفة: يمتلك الإنسان أربعة أنواع من مجاميع الدم A, B, AB, O وللقطط نفس العدد من مجاميع الدم، إلا أن للبقر ٨٠٠ نوع!

لماذا يعد هذا الاكتشاف ضمن المائة العظمى؟

الدم هو الدم ـ أو هكذا ظن العالم ـ أما الطبيب النمساوي كارل لاندشتاينر، فقد كان له رأي آخر إذ اكتشف أربعة أنواع من الدم، يمكن مزج بعضها بأمان وبعضها لا. لقد أنقذ ذلك الاكتشاف ملايين البشر من براثن الموت. فمن يوم نشرت فيه نتائج كارل لاندشتاينر، أصبحت عمليات نقل الدم أمينة وجزءاً عديم الضرر من الجراحة، فازدادت فرص الحياة لمرضى العمليات الجراحية بشكل ملفت. وبخلقه لجراحة أكثر أمناً وسلامة، جعل لاندشتاينر العديد من الإجراءات الجراحية الجديدة عملية حقاً وممكنة التطبيق. أسهم اكتشاف لاندشتاينر إسهاماً كبيراً في تطوير الفهم البشري لتركيب الدم وكيميائيته، وعبَّد الطريق لعدد من الاكتشافات الطبية الهامة بمطلع القرن العشرين.

كيف جاء هذا الاكتشاف؟

كانت مدينة فينا النمساوية عام ١٨٩٧م مدينة جذابة ساحرة ـ فهي حديثة حداثة أية مدينة أخرى آنذاك. كان الدكتور كارل لاندشتاينر **Karl Landsteiner** يعمل هناك في مستشفى جامعة فينا، حيث يجري فحوصات طبية للحالات ما بعد الوفاة.

في أحد أيام شهر نيسان (أبريل) من ذاك العام، فحص لاندشتاينر جثث أربعة مرضى توفوا خلال عمليات جراحية، وجميعهم من السبب ذاته: تخثر الدم. كان كل مريض منهم قد تسلم دما وتوفي عندما تكتلت كرياته الدموية الحمراء مع نظيراتها من الدم المتسلم، مسببة تخثرات كبيرة سميكة.

كان لاندشتاينر قد أعتاد على رؤية هذه الحالات بين الفترة والأخرى من خلال الآلاف من فحوصات ما بعد الوفاة التي أجراها أثناء مشواره الطبي، وتساءل سبب حدوث هذه المشكلة عند بعض المرضى دون غيرهم.

في تلك الأمسية، عزف لاندشتاينر على البيانو لزوجته وبضعة من أصحابه. لقد كان الشيء الوحيد الذي ظن كارل أنه أتقن أداءه، بينما أجمع معظم من سمعه بأنه يجب أن يترك الطب نحو حياة من النجومية والتألق كعازف بيانو.

في وسط عزفه لمقطوعة موسيقية مألوفة، خطر له فجأة أن الحل يكمن في شيء ما في دم المريض نفسه. ماذا لو لم يكن الدم كله سواء، كما افترض الجميع؟

وفي صبيحة اليوم التالي؟ جمع لاندشتاينر الدم من عشرين مريضاً، أملاً في توقيع أي النماذج صالحة للمزج مع بعضها البعض.

ففي صف طويل من أنابيب الاختبار، قام بمزج قطرات قليلة من دم كل مريض مع قطرات قليلة أخرى من دم كل مريض آخر.

واستعان بميكروسكوبه ليرى أي الكريات الدموية الحمراء قد تكتلت على بعضها، وأيها لم تتكتل. وقبل انتهائه من نصف عدد أنابيب الاختبار، تعجب لاندشتاينر من تمكنه من فصل نماذج الدم إلى مجموعتين بسهولة. فكريات الدم الحمراء لأي عضو من مجموعة واحدة تعلقت بكريات الدم الحمراء من كل عضو في المجموعة الأخرى، ولكنها لم تتعلق قط بخلايا الدم لغيرها من أعضاء مجموعتها. أطلق لاندشتاينر على هاتين المجموعتين **A** و **B** ليس الدم جميعه مطابقاً للجسم إذن، فهو مختلف باختلاف حملته!

دأب لاندشتاينر على تجاربه، فعثر على نماذج دم لا تتفاعل مع أي من نوعي **A**و**B** فكما أن هناك النوع **O** الذي لا يتفاعل مع أي من نوعي **A**و**B** هنالك نوع رابع إذن يتفاعل مع كليهما. أطلق كارل لاندشتاينر(١) على هذا النوع الرابع النوع **AB**.

الدم ليس كله سواء، بل هنالك أربعة أنواع متمايزة. فنقل الدم السليم يحتاج طبيباً يحدد نوع الدم لكل من الواهب والمستلم. ورغم أنها تبدو فكرة بسيطة وواضحة، إلا أنها أنقذت حياة الملايين من البشر حتى الآن(٢).

---

(١) لهذا العالم مشاركات أخرى في الطب اهمها مشاركة إيروين بوبر في اكتشاف فيروس شلل الأطفال عام ١٩٠٩م، وكذلك مشاركة الكسندر فينر في اكتشاف العامل الريسي **Rh** للدم عام ١٩٣٧م. حاز على جائزة نوبل في الطب عام ١٩٣٠م، وتوفي جراء نوبة قلبية وهو لا يزال يعمل بالمختبر عام ١٩٤٣م من عمر ناهز الخامسة والسبعين ـ المترجم.

(٢) قصة أعظم ١٠٠ اكتشاف علمي على مر الزمن ـ كيندال هيفن، ص١٥٢ ـ ١٥٤.

صدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في العتبة الحسينية المقدسة دراسة إسلامية معاصرة بعنوان حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام.

وقد ركزت الدراسة في فصولها الخمسة على بيان دور القرآن الكريم والعترة النبوية في تهيئة المادة التاريخية للمسلمين مع بيان شافٍ لدور التاريخ في رفد الفكر الإسلامي بنظم نشوء المجتمعات وعوامل أفولها.

ثم انعطفت الدراسة على دور الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في بيان حركة التاريخ ودور السنن التاريخية في الأمم السابقة وعلاقتها بهذه الأمة مع بيان خصوصية هذا الدور الذي تميز بالاحاطة التامة لهذه السنن وبيان العامل المشترك في وقوعها وتشخيص نتائجها وتوضيح غرض ذكرها وتذكير الناس بها.
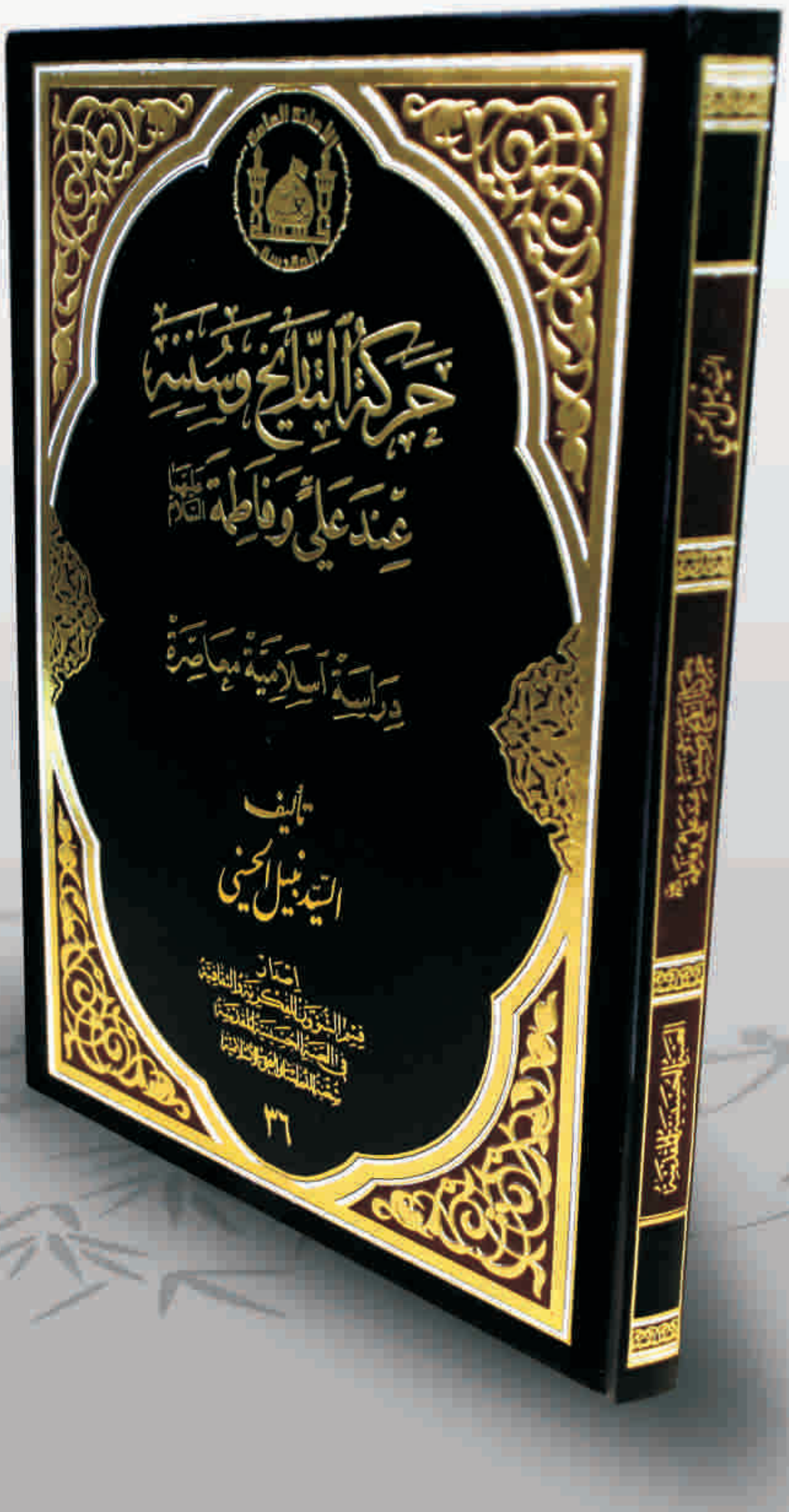
في حين امتازت حركة التاريخ عند سيدة النساء فاطمة عليها السلام في تحديدها لنقطة بدء الحركة التاريخية لتلازم الزمن في ديمومة التاريخ قبل تشخيصها للسنن الأممية لكونها من توابع الحركة التاريخية، وغيرها من المباحث التي شملتها الدراسة نتركها للقارئ الكريم كي يتعرف عليها.